كَلَامٌ لِنِسَاءٍ مُتَفَرِّقَاتٍ

إسحَق بنُ إبرَاهِيمَ الموصِلِيُّ قَالَ: «سَمِعتُ أَعرَابِيَّةً تقُولُ: تَيَسَّرُوا لِلِقَاء اللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ فإنَّ هَذِه الأيَّام تُدرجنَا إدرَاجًا[1]».

أَحمَد بن الحارِثِ قَالَ: «سَمِعتُ أَبَا عَبد اللهِ بنَ الأَعرَابِيِّ يَقُولُ عَن عُثمَان بنِ حفصٍ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: مَرَّ ذُو الإِصبَع العدوَانِيُّ بِجَوَارٍ يَختَلِينَ في رَوضَةٍ من زهرَتِهَا، فوَقَفَ يَنظُرُ إلَيهِنَّ!

فقَالَت إحدَاهُنَّ: امْضِ لِشَأنِكَ، فوالله مَا مِنك السِّوَارِ[2].

قَالَ: ومَا ذَاكَ؟.

قَالَت: رَأيتُكَ إِذَا جَلَستَ تَهَدَّمتَ، وَإِذَا قُمتَ عَجنتَ، وَإِذَا مَشِيتَ هدجتَ»[3].

---

(1) أي: تَطوينا طَيًّا.

(2) السِّوار: الوثب.

(3) **تهدمت،** أي: انتقضت، كالبناء إذا انتقض. **وعجنت:** قام معتمدًا على الأرض مِن ضعفه وكبره. **وهدجت** من الهدجان، وهو مشي الشيخ. والمراد: وصفه بالضعف.

obeikandl.com

قَالَ أَبُو النَّصرِ النَّعامِيُّ: «سألتُ بِنتَ الخَسِّ، عَن المِعزَى، فقَالَت: «طُعْمُ شهرٍ، وعَنَاء دَهرٍ.

وقِيلَ لَهَا: «اشتَرَى أَبُوكِ ضَأنًا.

قَالَت: هَنِيئًا لِأَبِي العَنَاء[1]، وقَرِيَة لَا حِمى لَهَا.

وقِيلَ لَهَا: اشتَرَى أَبُوكِ إِبِلًا.

قَالَت: هنيئًا لِأَبِي الجمَال.

وقِيلَ: اشتَرَى خَيلًا.

قَالَت: هَنِيئًا لَهُ العِزُّ؛ بُطُونهَا كَنز، وظُهُورهَا عِزٌّ.

قِيلَ: اشتَرَى أَبُوكِ حُمُرًا.

قَالَت: عَازِبَة[2] اللَّيلِ، خَزِي النَّهَارِ».

---

(1) التعب.

(2) غائبة.

obeikandi.com

كَلَام نائِلَةَ بنتِ الفَرَافِصَة[1]

وَجَدتُهُ في بَعضِ الكُتُبِ، ولَم أَروِهِ عَن أَحَدٍ، قَالَ: «لَمَّا قُتِلَ عُثمَانُ بنُ عفَّان مَكَثَ ثَلَاثًا، ثمَّ دفنَ لَيلًا، قَالَ: فغَدَت[2] نَائِلَةُ ابنَةُ الفَرَافِصَة الكَلبِيَّة زَوجَته مُتَسَلِّبَة في أَطْمَارٍ[3] مَعَهَا نِسوَة مِن قَومِهَا، وغَيرهم إِلَى مَسجِدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاستقبَلت القِبلَة بِوَجهِهَا، ووَجَّهَت إحدَى نِسوَتِهَا تَستَنهِضُ النَّاسَ.

قَالَ: فتَقَوَّضت الخَلْقَ نَحوَهَا، وقَد سَدَلَت ثَوبَهَا عَلَى وَجهِهَا، وأَلقَت كمَّهَا

---

(1) نائلة بنت الفَرَافِصَة بن الأحوص الكلبية: زوجة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. كانت خطيبة، شاعرة، من ذوات الرأي والشجاعة. حُمِلَت إلى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من بادية السَّماوة؛ فتزوجها، وأقامت معه في المدينة، روى عنها النعمان بن بشير، وأم هلال بنت وكيع، وأَنجبت من عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أم خالد، وأروى، وأم أبان، وحَضَرت مَقتل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورَوَت قِصة قَتْلِه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر «تاريخ دمشق» (70/ 135).

(2) بَكَّرت.

(3) **متسلبة،** أي: لابسة ثيابًا سُودًا. **والأطمار:** الأثواب البالية.

عَلَى رَأسِهَا، حَتَّى آذنُوهَا[1] بِاجتِمَاعِ النَّاسِ.

قَالَ: فَحَمِدَت اللهَ، وأَثنَت عَلَيهِ، وصَلَّت عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثمَّ قَالَت: عُثمَان ذُو النُّورَينِ قُتِلَ مَظلُومًا بَينَكُم بَعدَ الاعتِذَارِ، وإن أعطَاكُم العُتبى[2] مَعَاشِر المُؤمِنِة، وأهل المِلَّة، لَا تستَنكِرُوا مَقَامِي، وَلَا تَستَكثِرُوا كَلَامِي، فَإنِّي حَرَّى عَبرَى، رُزِئتُ جَلِيلًا، وَتَذَوَّقتُ ثُكلًا[3] من عُثمَانَ بن عفَّانَ ثَالِث الأَركَان[4] مِن أصحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الفَضلِ عِندَ تَرَاجُع النَّاس في الشُّورَى يَوم الإرشَادِ.

فكَان الطَّبِيب المُرتَضَى المُختَار حتَّى لَم يَتَقَدَّمْهُ مُتَقَدِّمٌ، ولَم يشكَّ في فَضلِهِ مُتَأَثِّمٌ، أَلقَوا إلَيهِ الأَزِمَّة، وخَلُّوه والأُمَّة، حين عَرفُوا لَهُ حَقَّهُ، وحَمدُوا مَذَاهِبَه وصِدقَه، فَكَانَ وَاحِدَهم غَيرَ مُدَافع، وخِيرتَهم غَيرَ مُنَازِعٍ، لَا يُنكرُ لَهُ حُسن الغَنَاء، وَلَا عَنه سَمَاح النَّعمَاء، إذ وَصَلَ أجنِحَة المُسلِمِينَ حِينَ نَهَضُوا إلَى رُؤُوسِ أئمَّةِ الكُفرِ حَيثُ رَكَضُوا؛ فَقَلَّدُوهُ الأُمُورُ، إذ لَم يَكُن فِيهِم لَهُ نَظِيرٌ.

فسَلَكَ بِهِم سَبِيلَ الهُدَى، وبِالنَّبِيِّ وصَاحِبَيهِ اقتَدَى، مُخسِئًا للشَّيطَانِ إلَى

---

(1) أعلموها.

(2) الرضا.

(3) الثكل: فقد الحبيب.

(4) تريد أنه ثالث الخلفاء الرَّاشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

مَداحِرِه[1]، مُقصِيًا للعُدوَانِ إلَى مَزَاحِرِه[2]، تَنقَشِعُ مِنهُ الطَّوَاغِيتُ[3]، وتزايلُ عَنهُ المَصَالِيتُ[4]، حتى امتَدَّ لَهُ الدِّينُ، واتَّصَلَ بِهِ السَّبِيلُ المُستَقِيمُ، ولَحِقَ الكُفر بِالأَطرَافِ قَلِيل الآلافِ والأَحلَافِ، فتَرَكَهُ حِين لَا خَير في الإِسلَام في افتِتَاح البِلَاد، وَلَا رأي لِأَهلِهِ في تَجهِيز البُعُوثِ[5].

فَأَقَامَ يَمُدُّكُم بِالرَّأي، ويَمنَعكُم بِالأَدنَى، يَصفَحُ عن مُسِيئِكم في إسَاءَتِهِ، ويَقبلُ مِن مُحسِنِكُم بإحسَانِهِ، ويُكَافِئكُم بمَالِهِ، ضَعِيف الانتِصَار مِنكُم، قَوِيّ المَعُونَةِ لَكُم، فَاستَلَنْتُم عَرِيكَتَهُ حينَ مَنَحَكُم مَحَبَّتَهُ، وأَجرركم أرسانكُم[6] آمِنًا جُرأتكم وعُدوَانكم، فَأَرَاكمُوه الحَقّ إخوَانًا، وأَرَاكُمُوهُ البَاطِل شَيطَانًا في عَقبِ سيرَةِ مَن رَأَيتُمُوهُ فَظًّا، وعَدَدتُمُوهُ غَلِيظًا[7].

قهركم مِنهُ بِالقَمعِ، وطَاعَتُكُم إيَّاه عَلَى الجدعِ[8]، يُعَامِلُكُم الحنة[9]،

---

(1) أي: مُبعدًا له إلى مداحره، وهي جمع: مدحر، وهو مكان البُعد والطرد.

(2) أُصوله.

(3) الشياطين، والطاغوت: كل رأس ضلال.

(4) اللصوص.

(5) الجيوش.

(6) أزمتكم، أي: جعلكم قادة أنفسكم.

(7) تريد عمر بن الخطاب الخليفة الراشد قبله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(8) الجدع: قطع الأنف، كناية عن الذل.

(9) الصَّد.

وتحونكُم[1] بِالضَّربِ، وكَان- واللهِ- أَعلَم بِآدَابِكُم ومَصَالِحكُم، فلِلَّهِ هُوَ كَانَ قد نَظَرَ في ضَمَائِركم، وعَرفَ إعلَانَكُم وسَرَائِركُم، فحِينَ فَقَدتُم سطوَتَهُ، وأَمِنتُم بَطشَه، وَرَأَيتُم أنَّ الطُّرُقَ قَدِ انشَعَبَت[2] لَكُم، والسُّبُلَ قَدِ اتَّصَلَت بِكُم- ظَنَنتُم أنَّ اللهَ يُصلحُ عَمَلَ المُفسِدِينَ؛ فعَدَوتُم عدوَة الأَعدَاء، وشَدَدتُم شِدَّةَ السُّفَهَاء عَلَى النَّقِيِّ التَّقِيِّ، الخَفِيف بكِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لِسَانًا، الثقِيل عِندَ اللهِ مِيزَانًا؛ فَسَفَكتُم دَمَهُ، وأَنهَكتُم حَرَمَه[3]، واستَحلَلتُم مِنهُ الحُرَمَ الأَربَع: حُرمَة الإِسلَامِ، وحُرمَة الخِلَافَة، وحُرمَةَ الشَّهر الحَرَام، وحُرمَة البَلَد الحَرَامِ؛ فَليعلَمَنَّ الَّذين سَعَوا في أَمرِهِ، ودَبوا في قَتلِهِ، ومَنَعُونَا مِن دَفنِهِ؛ اللَّهُمَّ إنَّه بِئسَ للظَّالِمِينَ بَدَلًا، وإنَّهُم شَرٌّ مَكَانًا، وأَضعَفُ جُندًا؛ لَتَتَعَبَّدَنَّكُمُ الشُّبُهَات، ولتُفرِّقَنَّ بِكُمُ الطُّرُقَات، ولَتَذكُرُنَّ بَعدَهَا عُثمَان، وَلَا عُثمَان.

وكَيفَ يسخطِ اللهِ مِن بَعدِهِ؟ وأينَ كُنتُم لِعُثمَان ذِي النُّورَينِ مُنفس الكَرب؛ زَوج ابنَتي رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وصَاحِب المَربد[4] ورُومة، هَيهَات –واللهِ- مَا مِثلَهُ بمَوجُودٍ، وَلَا مِثل فِعلِهِ بمَعدُودٍ!

---

(1) أي: تداولكم بالضرب حينًا بعد حين.

(2) صارت ذات شُعب.

(3) أي: يحرم انتهاكه.

(4) البرمد، لعلها الدار التي اشتراها عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ يُوسِّع بها مسجد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.
ورُومة بئر اشتراه عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ؛ ليستقي وينتفع منها المُسلمون.

يَا هَؤُلاءِ إنَّكُم في فِتنةٍ عَميَاء صَمَّاء طِبَاق السَّمَاء[1] مُمتَدَّة الجران، شَوهَاء العِيَان في لَبسٍ مِن الأَمرِ قَد توزعَ[2] كُل ذِي حَقٍّ حَقَّه، ويَئِسَ مِن كُلِّ خَيرٍ أَهلُهُ، فَلَهَوَاتُ[3] الشَّرِّ فَاغِرَة[4]، وأَنْيات السُّوءِ كَاشِرَة، وعُيُون البَاطِل خزرٌ[5]، وأَهلُهُ شَزَرٌ[6]، ولَئِن نَكَرتُم أَمرَ عُثمَان، وبَشعتُم الدَّعة؛ لَتنكرنَّ غَير ذَلِك مِن غَيرِهِ حِينَ لَا يَنفَعُكُم عِتابٌ، وَلَا يُسمَع مِنكُم استِعتَاب، ثمَّ أقبَلَت بِوَجهِهَا عَلَى قَبرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقَالَت: اللَّهُمَّ اشهَدْ:

أَيَـــا قَبـــرَ النَّبِـــيِّ وصَـــاحِبَيهِ ... عذيرِي[7] إن شَكَوتُ ضَيَاع ثَوبِي

فـــإنِّي لَا سَـــبِيلَ فَتَنفَعُـــونِي ... وَلَا أيـــديكُم في مَنـــع حـــوبِي»[8]

ثمَّ انصَرَفَت بَاكِيَة مُستَرجِعَة، وتَفَرَّقَ النَّاسُ مَعَ انصِرَافِهَا».

---

(1) أي: مساوية للسَّماء، مَجاز عن ارتفاعها.

(2) تَفَرَّق.

(3) **اللهوات:** جمع لهاة، وهي داخل الحلق.

(4) مِن فَغَر فاه، أي: فَتَحَه وأَوْسَعَه.

(5) من تخازر: أي: ضَيَّق جَفنه؛ ليُحدِّد النظر.

(6) **الشزر هنا:** الشدة والصعوبة.

(7) **عذيري:** أي: مِن عذيري، أي: نَصيري. وضياع ثوبها كناية عن فَقدها زوجها؛ لأنَّ الزوج ستر، والثوب ستر.

8 الحوب: الحُزن والوحشة.

كَلَام فاطِمَةَ بِنتِ عَبدِ المَلِكِ[1]

أَخبَرَنَا مُحَمَّد بن سعد، قَالَ: أَخبَرَنَا السجستاني، قَالَ: أَخبَرَنَا العتبي، قَالَ: حَدَّثَنِي حَمَّادُ بن النَّضرِ، عَن مُحَمَّد بنِ اللَّيثِ، عَن عَطَاءٍ، قَالَ:

قُلتُ لفَاطِمَةَ بنتِ عَبدِ المَلِكِ: أَخبِرِينِي عَن عُمَرَ بنِ عَبدِ العَزِيزِ[2]، قَالَت: «أَفعَلُ، ولَو كَانَ حَيًّا مَا فَعَلتُ!

إنَّ عُمَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ كَانَ قَد فَرَّغ للمُسلِمِين نَفسَه، ولِأُمُورِهِم ذِهنه، فَكَانَ

---

(1) فاطمة بنت عبد المَلك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، زوج عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حَكَت عن زَوْجها عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وروى عنها المغيرة بن حكيم الصنعاني اليماني، وعطاء بن أبي رباح، وأبو عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري، ومزاحم مولى عمر، وزفر مولى مسلمة بن عبد الملك، ولها أخبار كثيرة ذَكَرَها ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (70/ 30).

(2) هو: عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي، أمير المؤمنين، أُمُّه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وَلِي إمرةَ المَدينة للوليد، وكان مع سُليمان كالوزير، وولي الخلافة بعده فَعُدَّ مع الخلفاء الرَّاشِدين، من الرَّابعة، مات في رجب سنة إحدى ومائة، وله أربعون سنة، ومُدَّة خلافته سنتان ونصف. انظر ترجمته في: «تقريب التهذيب» (ص 415)، «تهذيب التهذيب» (6/ 312).

إِذَا أَمسَى مسَاء لَم يفرغْ فِيهِ مِن حَوَائِج يَومِهِ دَعَا بِسِرَاجِهِ الَّذي كَانَ يُسْرَجُ لَهُ من مَالِهِ، ثمَّ صَلَّى رَكعَتَينِ، ثمَّ أَقعَى[1] وَاضِعًا رَأسَهُ عَلَى يَدَيهِ، تَسِيلُ دُمُوعه عَلَى خَدَّيهِ، يَشهَقُ الشَّهقَةَ، يَكَادُ يَنصَدَعُ لَهَا قلبه، أو تخرج لَهَا نَفْسُه، فم يزل كذلك حتَّى برق له الصُّبح، ثُمَّ أصبَحَ صَائِمًا، فدَنَوتُ مِنهُ، فقُلتُ لَهُ: «يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، أَلِشَيءٍ كَانَ مِنكَ مَا كَانَ؟».

قَالَ: «أَجَلْ، فعَلَيكِ بشَأنِكَ، وخَلِّنِي بِشَأنِي».

فقُلتُ: «إِنِّي أَرجُو أَن أَتَّعِظَ».

قَالَ: «إِذَن أُخْبِرُكِ، إِنِّي نَظَرتُ فَوَجدَتنِي قَد وُليتُ أَمرَ هَذِه الأُمَّة أَحمرهَا، وأَسوَدهَا، ثمَّ ذَكَرت الفَقِيرَ الجَائِعَ، والغَرِيبَ الضَّائِعَ، والأَسِيرَ المَقهُورَ، وذَا المَالِ القَلِيلِ، والعِيَالِ الكَثِيرِ، وأشباه مِن ذَلِك في أَقَاصِي البِلَاد وأَطرَاف الأَرض؛ فعَلمتُ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ سَائِلِي عَنهُم، وأَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حَجِيجِي، لَا يَقبَلُ اللهُ مِنِّي فِيهِم مَعذِرَة، وَلَا تَقُومُ لِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حُجَّةٌ، فرَحمتُ- واللهِ، يَا فاطِمَةُ- نَفسِي رَحمَةً دَمَعَت لَهَا عَينِي، وَوَجِل لَهَا قَلبِي، فَأَنَا كُلَّما ازدَدتُ ذِكرًا ازدَدتُ خَوفًا، فَاتَّعظِي الآن، أَو دَعِي»[2].

(1) تَسَاند إلى ما وراءه.

(2) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (45/ 197).

obeikandl.com

كَلَام عَكرَشَة بِنت الأطشِ[1]

العَبَّاس بن بَكَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكرٍ الهُذَلِيُّ، وعَبد الله بن سُلَيمَان، عَن عِكرِمَة، وقَالَ: حَدَّثَنَا المُقَدَّمِيُّ بإسنَادِهِ، عَن الشَّافِعِيِّ قَالُوا: «دَخَلَت عَكرَشَة بِنت الأطشِ عَلَى مُعَاوِيَةَ، وبِيَدِهَا عُكازٌ في أسفَلِهِ زَج[2] مسقى، فسَلَّمَت عَلَيهِ بالخِلَافَةِ، وجَلَسَت، فقَالَ لَهَا مُعَاوِيَة: «يَا عَكرَشَةُ، الآنَ صِرتُ أَمِيرَ المُؤمِنِينَ؟.

قَالَت: نَعَمْ، إذ لا عَلِيٌّ حيٌّ!

قَالَ: «ألستِ صَاحِبَةَ الكُورِ[3] المَسدُولِ، والوَسِيط المَشدُود، والمُتَقَلِّدَة بحَمَائِلِ السَّيف، وأنتِ وَاقِفَة بَين الصَّفَّينِ يَوم صِفَّين، تَقُولِينَ: «﴿ ﴾ [المائدة:105]، إنَّ الجَنَّةَ دَارٌ لَا يَرحَلُ عَنهَا مَن

---

(1) امرأة فصيحة وَفَدت على معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لها قصةٌ ذَكَرَها ابنُ عساكر في «تاريخه» (69/ 292).

(2) الزَّجُّ: الحديدة في أَسْفل الرُّمح أو العكاز ونحوهما.

(3) الرَّحْل. أو ما تَجعله المرأةُ على رأسِها مِن غِطاء.

قَطَنَهَا، وَلَا يَحزَنُ مَن سَكَنَهَا؛ فَابتَاعُوهَا بِدَارٍ لَا يَدُوم نَعِيمُهَا، وَلَا تَنصَرِمُ هُمُومُها.

كُونُوا قَومًا مُستبصِرِينَ؛ إنَّ مُعَاوِيَة دَلَفَ[1] إلَيكِم بعجمِ العَرَبِ، غُلفِ القُلُوبِ، لَا يفقَهُون الإيمَان، وَلَا يَدرُونَ مَا الحِكمَة؟ دعَاهُم بالدُّنيَا فَأجَابُوه، واستَدعَاهُم إلَى البَاطِلِ فلبُّوه.

فَاللهَ اللهَ -عِبَادَ اللهِ- في دِينِ الله!

وإيَّاكُم، والتَّوَاكُل[2]؛ فإنَّ في ذَلِك نَقضَ عُروَة الإسلَام، وإطفَاء نُورِ الإيمَانِ، وذهَاب السُّنَّة، وإظهَار البَاطِل.

هَذِه بَدرٌ الصُّغرَى[3]، والعَقَبَة الأُخرَى.

قَاتِلُوا- يَا مَعشَرَ الأَنصَارِ والمُهَاجِرِينَ- عَلَى بَصِيرَةٍ مِن دِينِكُم، واصبِرُوا عَلَى عَزِيمَتِكُم، فَكَأَنِّي بِكُم غَدًا قَد لَقيتُم أَهلَ الشَّامِ كَالحُمُرِ النَّهَّاقَةِ، والبِغَالِ الشَّحاجة تضفَع[4] ضَفع البَقر، وتروثُ رَوث العتَاقِ».

انتَهَت حِكَايَة قَولِهَا.

---

(1) مَشَى. والدلف: مَشي المُقَيَّد.

(2) إظهار العَجز، أو الاعتماد على الغير.

(3) تصف حرب صِفين بأنَّها كمعركة بدر.

(4) الشحاجة من الشحيج، وهو صوت البِغال. **والضفع**: رجيع الصوت، أو الضراط، والروث: براز الحيوانات. والعتاق: الجمال.

obeikandl.com

ثمَّ قَالَ مُعَاوِيَة: «فوَاللهِ، لَولَا قَدرُ الله ومَا أُحِبُّ أن يجعَلَ لنَا هَذَا الأَمر؛ لَقَد كَانَ انكَفَأَ عَليَّ العَسكرَان، فمَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِك؟

قَالَت: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، إنَّ اللَّبِيبَ إِذَا كَرِهَ أمرًا لم يُحِبَّ إعَادَتَهُ.

قَالَ: «صَدَقتِ؛ اذكُرِي حَاجَتَكِ.

قَالَت: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، إنَّ اللهَ قَد رَدَّ صَدَقَاتِنَا عَلَينَا، ورَدَّ أَموَالَنَا فِينَا إلَّا بحَقِّهَا، وإنَّا قَد فَقَدنَا ذَلِكَ، فمَا يَنعش لَنَا فَقِيرٌ، وَلَا يجبُر لَنَا كَسِيرٌ، فَإِن كَانَ ذَلِك عَن رَأيِكَ، فمَا مِثلُكَ مَن استَعَانَ بِالخَوَنَة، وَلَا استَعمَلَ الظَّالِمِينَ».

قَالَ مُعَاوِيَة: يَا هَذِه، إنَّه تَنُوبنَا أُمُورٌ، هِيَ أَولَى بِنَا مِنكُم مِن بُحُورٍ تَنبَثِقُ، وثُغُورٍ تَنفَتِقُ.

قَالَت: يَا سُبحَانَ اللهِ! ما فرضَ اللهُ لَنَا حَقًّا جَعَلَ فِيهِ ضَرَرًا عَلَى غَيرِنَا، مَا جَعَلَهُ لَنَا وهُوَ عَلَّامُ الغُيُوبِ.

قَالَ مُعَاوِيَة: هَيهَات يَا أَهلَ العِرَاقِ! فَقَّهكم ابنُ أَبِي طَالِبٍ، فلَن تطَاقُوا».

ثمَّ أمرَ لَهَا برَدِّ صَدَقَتِهَا، وإنصَافِهَا، وَرَدّهَا مُكَرَّمَة»[1].

---

(1) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (69/ 290)، والضبي في «أخبار الوافدات على معاوية» (1/ 37).

كَلَام الدَّارِمِيَّة الحجونِيَّة[1]

وقَالَ المُقَدَّمِيُّ أَبُو إِسحَاقَ، قَالَ: «حَجَّ مُعَاوِيَةُ سَنَةً من سِنِيِّهِ، فسأَلَ عَن امرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا: الدَّارِمِيَّة الحجونيَّة؛ كَانَتِ امرَأَةً سوداء كَثِيرَة اللَّحم، فَأُخبِرَ بسَلَامَتِهَا، فبَعثَ إِلَيهَا، فجيءَ بِهَا، فقَالَ لَهَا: كَيفَ حَالُكِ، يَا ابنة حَامٍ[2]؟

قَالَت: «بخيرٍ، ولَستُ لحَامٍ، إِنَّمَا أَنَا امرَأَةٌ مِن قُرَيشٍ مِن بَنِي كنَانَةَ، ثمَّت من بَنِي أَبِيكَ.

قَالَ: صَدَقتِ! هل تعلَمِينَ، لِمَ بَعثتُ إِلَيكِ؟

قَالَت: لَا، يَا سُبحَانَ اللهِ! وأَنَّى لي بِعِلمِ مَا لَم أَعلَم.

قَالَ: بَعَثتُ إليكِ أن أَسأَلُكِ: عَلَامَ أَحبَبتِ عَلِيًّا وأَبغَضتِينِي، وعَلَام

---

(1) لم أقف على اسمها، غير أنَّها من قريش، كما ذَكرت في حِوارها مع معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكانت مناصرة لعليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن أهل الفَصاحة. ذكر قِصَّتَها غيرُ واحد من أهل العلم في كتب الأدب والأخبار.

والحجون: جبل بمعلاة مكة.

(2) هو حام بن نُوح؛ أحدُ الذين تَرجع إليهم السَّلائل البَشرية، فيقال: أولاد حام، أو أولاد سام، ويقال لمن لا يُعرف له نَسَبٌ، أو مَن يُراد غَمْطُه في نَسَبه: يابن حام.

وَالَيتِيهِ وعَادَيتِينِي؟

قَالَت: «أوَتُعفِينِي مِن ذَلِكَ؟

قَالَ: لَا أُعفِيكِ، ولِذَلِك دَعَوتُكِ.

قَالَت: فأمَّا إِذَا أَبَيتَ؛ فَإِنِّي أَحبَبتُ عَلِيًّا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عَلَى عَدلِهِ فِي الرَّعِيَّة، وقَسْمِهِ بالسَّوِيَّة، وأَبغَضتُكَ عَلَى قِتَالِكَ مَن هُوَ أَولَى بِالأَمرِ مِنك، وطَلَبك مَا لَيسَ لَكَ، ووَالَيتُ عليًّا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عَلَى مَا عَقَدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن الوِلَايَة، وحبِّ المَسَاكِين، وإعظَامه لِأَهلِ الدِّين، وعَادَيتُكَ عَلَى سَفكِكَ الدِّمَاءَ، شقِّك العَصَا.

قَالَ: صَدَقتِ! فَلِذَلِك انتَفَخَ بَطنُكِ، وكَبُرَ ثَديُكِ، وعَظُمَت عَجِيزَتُكِ.

قَالَت: يَا هَذَا، بهندٍ أمِّ مُعَاوِيَة- واللهِ- يُضرَبُ المَثَلُ لَا أَنَا.

قَالَ مُعَاوِيَة: يَا هَذِه، لَا تَغضَبِي، فإنَّا لَم نَقُلْ إلَّا خَيرًا؛ إنَّه إن انتَفَخَ بطنُ المَرأَة تمَّ خَلْقُ وَلدِهَا، وَإِذَا كَبُرَ ثَديُهَا حَسُنَ غِذَاءُ وَلَدِهَا، وَإِذَا عَظُمَت عجيزتهَا رزنَ مَجلسهَا.

فرَجَعَتِ المَرأَةُ، فقَالَ لَهَا: هل رَأَيتِ عَلِيًّا؟

قَالَت: إي واللهِ لَقَد رَأَيتُهُ.

قَالَ: كَيفَ رَأيتِهِ؟

قَالَت: لم يَنفخْه المُلك، ولَم تَصْقُلْهُ النِّعمَة[1].

قَالَ: فهَل سَمِعتِ كَلَامَه؟

قَالَت: نَعَم.

قَالَ: فكَيف سمعتِهِ؟

قَالَت: «كانَ- واللهِ- كَلَامُهُ يَجلُو القَلبَ مِنَ العَمَى، كما يَجلُو الزَّيت صدَاءَ الطستِ.

قَالَ: صَدَقتِ، هَل لَكَ من حَاجَةٍ؟

قَالَت: وتَفعَل إِذَا سَألتُ؟

قَالَ: نَعَم.

قَالَت: تُعطِينِي مِائَة نَاقَة حَمرَاء، فِيهَا فَحْلُهَا[2]، ورَاعِيهَا.

قَالَ: مَاذَا تَصنَعِين بِهَا؟

قَالَت: أغذو بِأَلبَانِهَا الصِّغَار، وأستحنِي[3] بِهَا الكِبَار، وأكتسبُ بِهَا المَكَارِم، وأُصلحُ بِهَا بَينَ عَشَائِرِ العَرَبِ.

---

(1) المراد: أنه ظلَّ على بساطة عيشه، ولم يَفعل فعل المُترفين.

(2) ذَكَرُها.

(3) أستعطف.

قَالَ: فإن أَنَا أعطَيتُكِ هَذَا أَحُلُّ مِنكِ مَحَلَّ عليٍّ؟

قَالَت: يَا سُبحَان اللهِ، أو دُونَه، أو دُونَه!

فقَالَ مُعَاوِيَة:

«إذَا لَـــم أَجُـــدْ مِـــنكُم عَلَـــيكم فمَـن ذَا الَّـذي بَعدِي يُؤَمَّـل بـالحِلْمِ
خُـذِيهَا هَنِيئًـا واذكُـرِي فِعْـلَ مَاجِـدٍ حبَاك عَلَى حَـربِ العَـدَاوَةِ بالسِّـلمِ

أَمَا- واللهِ- لَو كَانَ عَلِيًّا مَا أعطَاكِ شَيئًا!

قَالَت: إي واللهِ، وَلَا برَّة وَاحِدَة مِن مَالِ المُسلِمِينَ يُعطِينِي.

ثمَّ أَمَرَ لَهَا بِمَا سَأَلَتْ»[1].

(1) أخرجه الضبي في «أخبار الوافدات على معاوية» (ص 40)، وذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (1/ 342).

obeikandl.com

كَلَام جَروةَ بِنتِ مرَّةَ بنِ غَالِبٍ[1]

أبُو عَبد اللهِ مُحَمَّد بن زَكَرِيَّا، قَالَ: حَدَّثَنَا العَبَّاس بن بَكَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبدُ اللهِ بنُ سُلَيمَان المَدِينِيُّ، عَن أَبيهِ، وسُهَيل التَّمِيمِي، عَن أَبيهِ، عَن عَمَّتِهِ، قَالَت: «احتَجَمَ مُعَاوِيَةُ بمَكَّة، فَلَمَّا أَمسَى أَرِقَ أَرَقًا شَدِيدًا، فأرسَلَ إِلَى جَروةَ ابنَة غالِبٍ التَّمِيمِيَّة، وكَانَت مُجَاوِرَة بمَكَّة، وهِيَ من بَنِي أُسَيدِ بنِ عَمرِو بنِ تَمِيمٍ، فَلَمَّا دَخَلَت، قَالَ لَهَا: «مَرحَبًا يَا جروَةَ، أَرَعْنَاكِ؟

قَالَت: إي واللهِ يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، لَقَد طُرِقتَ في سَاعَةٍ لَا يُطرقُ فِيهَا الطَّيرُ في وَكرِهِ، فَأَرَعتَ قَلبِي، وريع صِبيَانِي، وأَفزَعتَ عَشِيرَتِي، وتَركت بعضهُم يَمُوجُ في بَعضٍ؛ يُرَاجِعُون القولَ، ويُديرُونَ الكَلَامَ خَشيَةً مِنكَ، وشفقَةً.

فقَالَ لَهَا: لِيَسكُن رَوعُكِ، ولتَطبْ نَفسُكِ، فإنَّ الأَمرَ عَلَى خِلَافِ مَا ظَنَنتِ؛ إنِّي احتَجَمتُ، فَأعقبَنِي ذَلِكَ أَرَقًا، فَأَرسَلتُ إليكِ تُخبِرِينِي عَن قَومَكِ.

قَالَت: عَن أَيِّ قَومِي تَسأَلنِي؟

---

(1) امرأة تميمية فصيحة بليغة، شُجاعة، ذكر لها غيرُ واحد من أهل العلم بالأخبار هذا الكلام لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ: عَن بَنِي تَمِيمٍ!

قَالَت: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، هم أكثرُ النَّاس عدَدًا، وأوسَعُه بَلَدًا، وأبعَده أمَدًا، همُ الذَّهَبُ الأَحمَرُ، والحَسَبُ الأَفخَرُ.

قَالَ: صَدَقتِ؛ فَنَزِّلِيهِم لِي.

قَالَت: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ:

أَمَّا بنُو عَمرِو بنِ تَمِيمٍ: فأصحَابُ بَأسٍ، ونَجدَةٍ، وتَحاشُدٍ[1]، وشدَّةٍ لَا يَتَخَاذلُون عِند اللِّقاءِ، وَلَا يطمَع فِيهِم الأَعدَاءُ سِلمُهُم فيهم، وسَيفُهم عَلَى عدوِّهِم.

قَالَ: صَدَقتِ، ونِعمَ القَولِ لأنفسِهم.

قَالَت: وأَمَّا بَنُو سَعدِ بنِ زَيد مناه: ففِي العَدَد الأَكثَرُون، وفي النَّسب الأطيبُون، يضرُّون[2] إن غضبُوا، ويدركُون إن طلبُوا، أصحَاب سيُوفٍ وجحفٍ[3]، ونزالٍ وزلفٍ[4]، عَلَى أنَّ بأسهُم فيهِم، وسيفَهم عَلَيهم.

وأَمَّا حَنظَلَة: فالبيتُ الرَّفيع البَدِيع، والعزُّ المنيعُ، المكرومُونَ للجَارِ،

---

(1) مِن احتشد القوم: اجتمعوا لأمر و احد.

(2) يقال: ضري السَّبُع: أسرع في بَطشه.

(3) الجحف: التُّروس من جِلد بلا خشب.

(4) إقدام.

والطَّالبُون بالثَّارِ، والنَّاقضُون للأوتَار.

قَالَ: إنَّ حنظَلَةَ شَجَرةٌ تفرعُ.

قَالَت: صَدَقتَ يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ.

وأمَّا البَرَاجِمُ: فأصَابِع مُجتَمِعَة، وكَفٌّ ممتنعةٌ.

وأمَّا طهيةُ: فقَوم هوج، وقَرن لجُوج[1].

وأمَّا بنُو رَبيعَةَ: فصَخرَة صَمَّاء، وحَيَّة وَقْشَاء[2]، يَغزُونَ غيرَهم، ويَفخَرُون بقَومِهِم.

وأمَّا بنُو يَربُوع: ففِرسَان الرِّمَاح، وأسُود الصَّبَاح، يعتَنِقُون الأَقرَان، ويقتُلُون الفرسَان.

وأمَّا بنُو مالِكٍ: فجمعٌ غير مفلولٍ، وعزٌّ غير مجهُولٍ، ليُوثٌ هرَّارَةٌ[3]، وخيولٌ كرَّارَةٌ.

وأمَّا بنُو دارِمٍ: فكرَمٌ لَا يُدانَى، وشَرفٌ لَا يُسامى، وعزٌّ لَا يُوازِى.

قَالَ: أنتِ أعلَمُ النَّاسِ بتَمِيمٍ، فكَيفَ عِلمُكِ بقَيسٍ؟

---

(1) **هوج**: أي: طِوال في حُمْقٍ وتَسَرُّع، **ولجوج**: مخاصم.

(2) **الوقشاء من الحيات**: المتلونة بسواد وبياض.

(3) **مفلول**: مَثلول ومخدوش. هرارة من الهرهرة، وهي زئير الأسد.

obeikandi.com

قَالَت: كَعِلمِي بِنَفسِي.

قَالَ: فخَبِّرِينِي عَنهُم.

قَالَت: أمَّا غطفان: فأكثر سَادَة، وأَمنَع قَادَة.

وأمَّا فزَارَة: فبيتُها المَشهُور، وحَسبهَا المَذكُور.

وأمَّا ذبيَان: فخُطبَاء شُعَرَاء، أعزَّة أقوِيَاء.

وأمَّا عَبس: فجَمرةٌ لَا تُطفأُ، وعقبة لَا تُعْلَى، وحيَّة لَا تُرْقَى.

وأمَّا هوازِن: فحِلمٌ ظاهرٌ، وعِزٌّ قاهرٌ.

وأمَّا سلِيم: ففِرسَان المَلَاحِم، وأسُود ضَرَاغِمُ.

وأمَّا نمير: فشَوكَةٌ مَسمُومةٌ، وهَامة مَذمُومَة، ورَايَة مَلمُومَة.

وأمَّا هِلَالٌ: فَاسم فَخر، وعزٌّ قومٍ.

وأمَّا بنُو كِلَابٍ، فعَدَدٌ كَثِيرٌ، وفَخرٌ أثِيرٌ.

قَالَ: للهِ أنتِ! فمَا قَولُكِ فِي قُرَيشٍ؟

قَالَت: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، هُم ذِروَة السِّنَام، وسَادَة الأنَامِ، والحَسَب القمقَام[1].

---

(1) المكرمة المُتوارثة.

قَالَ: فمَا قَولُكِ في عَلِيٍّ؟

قَالَت: جَازَ- واللهِ- في الشَّرَفِ حَدًّا لَا يُوصَفُ، وغَايَةً لَا تُعرَفُ، وبِاللهِ أسأَل أمِيرَ المُؤمِنِينَ إعفَائِي ممَّا أتَخَوَّفُ.

قَالَ: قَد فَعَلتُ.

وأَمَرَ لَهَا بضَيعَةٍ نَفِيسَةٍ غلَّتُهَا عَشرَة آلافِ دِرهَمٍ»[1].

(1) أخرجه العباس بن بكار الضَّبي في «أخبار الوافدات على مُعاوية» (ص 33).

obeikandl.com

كَلَام أمِّ البَرَاءِ بنتِ صفوَان [1]

قَالَ: وحَدَّثَنَا العَبَّاسُ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُهَيلُ بن أبي سُفيَانَ التَّمِيمِيِّ، عَن أَبيهِ، عَن جَعدَة بن هُبَيرَةَ المَخزُومِيِّ، قَالَ:

«استَأذَنَت أمُّ البَرَاءِ بنتُ صَفوَان بن هِلَالٍ عَلَى مُعَاوِيَة، فَأَذِن لَهَا، فدَخَلَت في ثَلَاثَة دُرُوعٍ[2] تَسحَبُهَا قَد كَارَت[3] عَلَى رَأسِهَا كورًا كَهَيئَةِ المِنْسَف[4]، فسَلَّمَت، ثمَّ جَلَسَت، فقَالَ: كَيفَ أنتِ يَا بِنتَ صَفوَان؟

قَالَت: بخيرٍ يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ.

قَالَ: فكيف حالُكِ؟

---

(1) **قال ابن عساكر:** «أُمُّ البَراء بنت صفوان بن هلال من النِّسوة الشَّواعر الفَصِيحات، دخلت على معاوية وكانت لها معه قصة». «تاريخ دمشق» (70/ 203)، ولها شِعر في نُصرة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي رثائه.

(2) الدُّروع: جمع درع، ودرع المرأة: قميصها.

(3) الكور: اللوث، أي: أدارت.

(4) **المِنْسَف:** ما يُنسف به الطعام، وهو شيء طويل مَنصوب الصَّدر، وأعلاه مُرتفع. «الصِّحاح» (4/ 1431)، مادة (نسف).

قَالَت: «ضَعفتُ بعدَ جَلَدٍ، وكَسلتُ بَعدَ نَشَاطٍ.

قَالَ: شَتَّان بَينَكِ اليَومَ وحِينَ تقُولِينَ:

يَا عَمرُو، دُونَكَ صَارِمًا ذا رَونَقٍ ... عضب المَهَزَّةِ لَيسَ بِالخَوَّارِ[1]

أسرج جَوَادَكَ مُسرِعًا، ومُشَمِّرًا ... لِلحربِ غَيرِ مُعَرِّدٍ[2] لِفِرَارِ

أَجِبِ الإِمَامَ وذُبَّ تَحتَ لِوَائِهِ ... وافِرٍ[3] العَدُوَّ بصَارِمٍ بَتَّارِ

يَا لَيتَنِي أَصبَحتُ لَيسَ بعَورَةٍ ... فَأذبَّ عَنه عَسَاكِرِ الفُجَّارِ

قَالَت: «قد كَانَ ذاك يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، ومِثلُكَ عَفَا، واللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿□ □ □ □□□﴾ [المائدة: 95]».

قَالَ: «هَيهَات! أمَا أنَّه لَو عَادَ لعُدتِ، ولَكِنَّه اختُرِمَ[4] دُونَكِ، فكَيف قَولُكِ حِينَ قُتِلَ؟

قَالَت: نَسَيتُهُ يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ.

فقَالَ بَعضُ جُلَسَائِهِ: هو- واللهِ- حِينَ تَقُولُ يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ:

يَا لِلرِّجَالِ لِعِظَمِ هَولِ مُصِيبَتِه ... فدَحت[5] فَلَيسَ مُصَابُهَا بالهَازِلِ

---

(1) **عضب**: قاطع. **والخوار**: الضعيف.

(2) من عَرَّد: هَرب.

(3) مِن فَراه: شَقَّه.

(4) مات.

(5) ثَقلت وعَظُمت.

الشَّـمسُ كَاسِـفَةٌ لفَقـدِ إمَامِنَـا[1] خَيـرِ الخَلَائِـقِ والإمَـامِ العَـادِلِ
يا خَيرَ مَن رَكِبَ المَطَايَا ومَن مَشَى فَـوقَ التُّـرَابِ لمُحتَـفٍ أو نَاعِـلِ
حَاشَـا النَّبِـي قَـد هـدَّدَتَ قوَاءنَـا فَـالحَقُّ أصـبَحَ خَاضِـعًا للبَاطِـلِ

فقَالَ مُعَاوِيَة: قَاتَلَكِ اللهَ يَا بِنتَ صَفوَان! مَا تَرَكتِ لِقَائِلٍ مقَالًا؛ اذكُرِي حَاجَتَكِ!

قَالَت: «هيهَات بعدَ هَذَا! واللهِ، لَا سألتُكَ شيئًا، ثمَّ قَامَت، فعَثَرَت، فقَالَت: «تَعِسَ شَانِئُ[2] عَلِيٍّ!».

فقَالَ: يَا بِنتَ صَفوَان، زَعَمتِ ألا أُحِبَّه.

قَالَت: هُوَ مَا عَلِمت.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ بَعَثَ إِلَيهَا بكسوَةٍ فَاخِرَةٍ، ودَرَاهِمَ كَثِيرَةٍ، وقَالَ: «إِذَا أنَا ضَيَّعتُ الحِلْمَ، فَمَن يَحفَظُهُ؟!»[3].

(1) هذا على سبيل المجاز والمُبالغة، وقد أخرج البخاري (1043) عن المُغيرة بن شُعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كُسِفت الشَّمْسُ على عهدِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم مات إبراهيم، فقال النَّاس: كُسفت الشَّمْسُ لموتِ إبراهيم! فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ الشَّمْسَ والقَمَر لَا يَنْكَسِفان لِمَوْتِ أَحَدٍ ولَا لِحياته؛ فإذا رأيتُم فَصَلُّوا، وادْعُوا الله**».

(2) مُبغض.

(3) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (70/ 203).

بلاغات النِّسَاء في مُنَازعَاتِ الأزوَاجِ فِي المَدْحِ والذَّمِّ، وصِفَاتِهِنَّ لَهُمْ فِي مَنثورِ الكَلَامِ، ومَنظُومِهِ

قَالَ أَبُو عَبد الله مُحَمَّد بن زياد الأعرابي: حَدَّثَنَا أَبُو مُعاوية الضَّرير، عَن هِشام بن عُروَة، عَن أَبيهِ، عَن عَائِشَة قَالَت: قَالَ: لي رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذاتَ يومٍ: «**أَنَا لَكِ كأبي زَرْعٍ**».

قلتُ: يا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَبُو زَرْعٍ؟

فقَالَ: «**كانَ نِسْوَةٌ في الجاهلية إحدى عشر امرأةً قَعَدْنَ فَتَذَاكَرْنَ أزواجَهن، فَذَمَّ خَمْسٌ، ومَدَحَ سِتٌّ.**

فأما أُولى الذَّوامِّ، فقَالَت: زوجي لَحْمُ جَمَلٍ غَثٍّ بجبَل وَعْرٍ، لا سَهْلٌ فيُرْتَقَى، ولا سَمِينٌ فيُنْتَقَى».

تعني: مَهزولًا عَلَى رأسِ جَبَلٍ، تَصِفُ قِلَّةَ خَيْرِه كالشيء الصَّعب لا يُنال إلا بالمشقة، تقول: ليس له نَقْي، أي: مُخ، يقَالَ: نَقَوْتُ العظمَ، ونَقَيْتُهُ.

يقول الشارح: شَبَهَّتْ قِلَّةَ خيْرِه بلحم الجَمل الهَزيل، وشَبَّهَتْ سُوء خُلقه بالجبل الصَّعب المُرتقى، ثمَّ قَالَت: فلا الجَبَلُ سَهْلٌ فيُرتقى لأخذ اللحم- ولو هزيلًا- لأن الشيء المَزْهُودَ فيه قد يُؤخذ إذا وُجِد بغير تعب، ولا اللَّحْمُ سمينٌ

فتُتَحملُ المشقةُ لأجل تحصيله.

«وقَالَت الثانية: زوجي عَيَايَاءُ، طَبَاقَاءُ، كُلُّ دَاءٍ له داءٌ، شَجَّكِ، أَو فَلَّكِ، أَو جَمَعَ كُلًّا لَكِ».

تقول: كُلُّ داءٍ من النَّاس هو فيه، ومن أدوائه العَيَايَاء، العيُّ: الَّذي لا يُحْسنُ شَيْئًا، ولا يُحكِم عملًا.

طَبَاقاء مِثل عَيَاياء، به كُلُّ داءٍ من جَهْلٍ، وضَعْفٍ، وخَرَقٍ.

والعَيَاياءُ من الإبل: الَّذي لا يضرِب، ولا يُلَقِّح.

يقول الشارح: شَجَّكِ: من الشجاك، وهو عُودٌ يعرض في فَمِ الجَدْيِ يمنعه من الرَّضاع.

فَلَّكِ: المُتَفَكِّكُ العِظام.

والمعنى: أنَّها تَصِفُه بالجهل، وبأنَّ كلَّ شيء تَفَرَّق في النَّاس من المَعاتب موجودٌ فيه، وأنه لا خَيْرَ في مُعاشرته، ولا رجاء في رُجُولِيَّتِهِ.

«وقَالَت الثالثة: زَوْجِي إذا أَكَلَ لَفَّ، وإذا شَرِبَ اشْتَفَّ، وإذا رَقَدَ الْتَفَّ، ولا يُدْخِلُ الكَفَّ حتَّى يَعرف البَثَّ».

يقَالُ: لَفَّ في الأكل: أكثرَ مُخْلِطًا من صُنُوفه.

واشْتَفَّ: أَخَذَ من الشَّفَافَة، وهي البَقيَّة تَبقى في الإناء من الشَّراب، فإذا شَرِبَها، قِيلَ: اشْتَفَّهَا، وتَشَافَّهَا تَشَافًّا.

قَالَ: وقولُها: «**لا يُدخل الكَفَّ**»: أنه كانَ بجسدها عيبٌ أو داءٌ تَكتئبُ له؛ لأنَّ البَثَّ: الحُزن، وكان لا يُدخل يده في ثوبها لِيَمَسَّ ذَلِك العيب، فيشق عَلَيها (تَصِفُهُ بِالكَرَمِ).

يقول الشارح: «في تفسير مُؤلف الكتاب للجملة الأخيرة خطأٌ، والصَّواب: أنها تَصِفُهُ بكثرة الأكل، والشُّرب، وقِلَّةِ الجماع، وكُلُّ ذلك مذمومٌ عِند العرب، والعربُ تَنْمَدِحُ بِقِلَّةِ الأكل والشرب، وكثرة الجماع؛ لدلالتها عَلَى صحة الذُّكورية والرُّجولية.

والمراد باللَّفِّ: الإكثارُ من الأكل واستقصاؤه حتَّى لا يَترك شيئًا منه.

والاشتفافُ في الشرب: استقصاؤُه.

وقولُها: «**إذا رَقَدَ الْتَفَّ**»، أي: رقد إلى ناحيةٍ وَحْده، وانقبض عَن زوجته إِعْرَاضًا؛ فهي حزينةٌ لذَلِك.

وكذَلِك قَالَت: «**ولا يُولِجُ الكَفَّ حتَّى يَعرف البَثَّ**»: أي: لا يَمُدُّ يدَهُ ليعلم ما هي عَلَيه من الحُزن فيزيله. والمراد بالبَثِّ: الحزن.

«**وقَالَت الرابعة: زَوْجِيَ العَشَنَّق؛ إِنْ أَنْطِقْ أُطَلَّقْ، وإن أَسْكُتْ أُعَلَّقْ**».

العَشَنَّق: المُفْرِط الطُّول، تقول: ليس عنده غِنَاءٌ من طوله، فَبِلا نفع.

يقول الشارح: العَشَنَّق: الطَّويل المَذمومُ الطُّول.

ويروى: أنَّه الطويلُ النَّجِيبُ الَّذي يَمْلِكُ أَمْرَ نفسه، ولا تَحْكُمُ النِّسَاءُ

فيه، بل يَحْكُمُ فيهن بما شاء، فزوجتُه تهابُه أَنْ تَنطق بِحَضْرَتِهِ، فهي تسكتُ عَلَى مَضَضٍ.

والمراد من قولها: أَنها منه عَلَى حَذَرٍ، فإن نَطَقَتْ بعيوبِه يَبلُغه كَلَامُها فيُطَلِّقها، وإن سكتت عنها فإنَّها عنده مُعَلَّقَةٌ لا هي ذاتُ زوج ولا هي أَيِّمٌ، فكأنها قَالَت: أنا عنده لا ذاتُ بَعْلٍ فأنتفعُ به، ولا مُطلقةٌ فأتفرغ لغيره، فهي كالمُعَلَّقة بين العُلُوِّ والسُّفْلِ، لا تَسْتَقِرُّ بأحدهما.

«وقالت الخامسة: «زوجي لا أَنِيء خَبَرَه، أخاف أن لا أَذَرَه؛ فأُظهر عُجَرَهُ وبُجَرَه»».

العُجَرُ: أن يَتَعَقَّدَ العَصَبُ أو العروقُ حتَّى تَرَاها نَاتِئَةً من الجَسَد.

والبُجَرُ نحوها، إلا أنَّ البُجَرَ في البَطن خاصَّة، وامرأةٌ بُجَرَاءُ، ويقال: لفلان بجره، ورَجُلٌ أَبْجَر إذا كانَ عظيمَها.

يقول الشارح: قولها: **«لا أَنِيء خبره»:** أي: لا أُحكمه.

وقولها: «**أن لا أَذَرَهُ**»، أي: لا أتركه.

وقولها: «**عُجَرَهُ وبُجَرَهُ**»: أمره كله، أو هُمومه وأحزانه، أو عيوبه الظاهرة والكامنة، وأصل معنى عُجَر وبُجَر ما ذكره المصنف، ثمَّ استُعْمِلَا فيما ذكرناه، والمراد: أنها أَجْمَلَتْ حالَ زوجها، واكتفت بالإشارة إلى معائِبِه مخافةَ أن يطول الخَطْبُ بذكر جميعِها.

«وقَالَتِ الأُولى- مِن اللواتي مَدَحْنَ أزواجَهن-: «زَوْجِي لَيْلُ تِهَامَة، لا حَر ولا قُر (أي: ولا بَرْد)**، ولا مخافَة ولا سَآمة».**

سَآمَة: تقول: لا يَسْأَمُنِي، فَيمَلُّ صُحْبَتِي، تقول: ليس عنده أذًى، ولا مكروه، وهَذَا مَثَلٌ؛ لأنَّ الحَرَّ والبرد كلاهما فيه مكروه، تقول: ليس عنده غائلة ولا شرٌّ أخافه، تصِفُهُ بجميل العِشْرَةِ، واعتدال الحال.

«وقَالَت الثانية: زَوْجِي المَسُّ مَسُّ أَرْنَب، والرِّيحُ رِيحُ زَرْنَب، أَغْلِبُهُ والنَّاسَ يَغْلِبُ».

رِيحُ زَرْنَب: وهو ضَرْبٌ من الطِّيب، تصِفُهُ بحُسْن الخُلق، ولِينِ الجانب، كَمَسِّ الأرنب إذا وضعتَ يدَكَ عَلَى ظَهْرِهِ.

يقول الشارح: وتصفُه- أيضًا- باستعماله الطِّيبَ تَظَرُّفًا، وبأنه مع شجاعته تَغْلِبُهُ هيَ؛ لِكَرَمِهِ معها، وهَذَا معنى قولها: «**أَغْلِبُهُ والناسَ يَغْلِبُ**»، ولو اقتصرَتْ على قولها: «**أَغْلِبُهُ**»، لَظُنَّ أنه جبانٌ ضعيف، فلما قَالَت: «**والناسَ يَغْلِبُ**»، دَلَّ عَلَى أنَّ غَلبها إيَّاه لِكَرَمِ سَجَايَاهُ؛ فَتَمَّتْ بهَذِه الكلمة المبالغةُ في حُسن أوصافه.

«وقَالَت الثالثة: زَوْجِي رَفِيعُ العِمَاد، عَظِيمُ الرَّمَاد، طَوِيلُ النِّجَاد، قَرِيبُ البيتِ مِنَ النَّاد».

رَفِيعُ العِمَادِ: أي: حَسَبُهُ فوق أَحْسَابِ قَوْمِهِ، كما أنَّ عِمَادَ بُيُوتِهِم طِوَالٌ فشَبَّهَتْهُ بها.

والنادي: مجلسُ الحِيِّ حيث يجتمعون.

طويلُ النِّجَاد: تَصِفُه بامتداد القامة. **والنِّجَادُ:** حمائلُ السَّيْف.

«قَريب البَيت من النَّاد»: أي: يَنزل بين ظهراني النَّاس؛ ليعلموا مكانه.

يقول الشارح: قولها: «**رفيع العِماد**»: وَصَفَتْه بطول البَيت وعُلُوِّه، وهكذا يفعل أشراف العرب؛ ليقصدهم الأضيافُ والطَّارقونُ والوافدون.

وقولها: «**عَظيم الرَّماد**»، تعني: أنَّ نار قِرَاهُ للأضياف لا تُطفَأ؛ ليهتدي الضيفانُ إليها، فيصير رمادُ النار كثيرًا لذَلِك.

وقولها: «**طويل النِّجاد**»، تعني: أنه طويل القامة يحتاج إلَى طول حمالَةِ سَيْفِه، وفي ضمن كَلَامها أنه صاحبُ سيف، فأشارت إلَى شجاعته.

وقولها: «**قَريب البَيت من النَّادِ**». النَّادِ: أي: النادي، وَقَفَتْ عليها بالسكون لمُواخاة السَّجع، وبقيةُ التفسير ذكره المُصَنِّف.

«**وقَالَت الرَّابعة: زَوْجِي إن خَرَجَ أَسِد، وإن دَخَلَ فَهِد، ولا يَسْأَل عمَّا عَهِد**».

أَسِد: تَصِفُه بالشَّجاعة. **فَهِد:** تَصِفُه بكثرة النَّوم والغفلة في المَنزل على وَجْه المَدح.

يقول الشارح: تقول: إن خَرَجَ عَلَى الناس فَلَهُ شَجاعةُ الأسد جرأةً وإقدامًا، وإن دخل عَلَيها كانَ كالفَهْدِ، إمَّا في لينه وغفلته؛ لأنه يُوصف بالحياء

وقِلَّةِ الشَّرِّ، وإمَّا في وُثُوبِهِ، فكأنَّ زوجها يَثب عَلَيها في جِمَاعِهِ إيَّاها وُثُوبَ الفَهْد.

«**ولَا يَسْأَلُ عَمَّا عَهِد**»: تعني: أنَّه كريمٌ كثير التَّغاضي، لا يَسأل عمَّا ذَهب من مالِه.

«**وقَالَت الخامسةُ: زَوْجِي أبُو مالك، وما أبُو مالك؟ ذو إبِلٍ كثيراتُ المَبَارِك، قَرِيبات المَسَارِح؛ إذا سمعن صَوْتَ مِزْهَرٍ أَيْقَنَّ أَنَّهُنَّ هَوَالِكُ**».

تقول: لا يُوَجِّههن لِيُسَرِّحهن نهارًا إلا قليلًا، لكنهن يُتْرَكْنَ بفنائه، فإن نزل به ضيفٌ لم تكن الإبلُ غائبةً عنه، ولكنها بحضرته، فيَقْرِيهِ من ألبانها ولحومها.

والمِزْهَرُ: العُود، تقول: قد عَوَّدَ إِبِلَهُ، إذا نزل به الضيفان أن يَنحر لهم، ويسقيهم الشَّراب، ويأتيهم بالمعازف.

يقول الشَّارح: المَبَارِك: جمع مَبْرَك، وهو موضع نزول الإبل.

والمسارح: جمع مَسْرَح، وهو الموضع الَّذي تُطْلَق لِتَرْعى فيه.

والمِزْهَر: آلةٌ مِن آلات اللهو.

تَصِفُهُ بالثروة والاستعداد للكرم.

ويُروَى أيضًا: «**وهُو أَمام القَوْمِ في المَهَالِك**»، أي: في الحروب، أي: أنه يتقدم لثقته في شجاعته.

«وقالت السادسة: «زوجي أبُو زَرْع، وما أبُو زَرْع؟ وجَدَنِي في أهل غُنَيْمَة بِشِقٍّ؛ فنَقَلني إلَى أهل صَهِيلٍ، وأَطِيطٍ، ودَايِسٍ، ومُنَقٍّ؛ مَلَأَ مِن شَحْمٍ عَضُدَيَّ، وأَنَاسَ مِنْ حُلِيٍّ أُذُنَيَّ، وبَجَّحَ نَفْسِي، فبَجِحَتْ إليه، فأنا أنام فَأَتَصَبَّح، وأَشْرَبُ فَأَتَقَمَّح، وأقول فلا أُقَبَّح».

قولها: «**وَجَدَنِي في أهل غنيمةٍ**»: تعني: أنَّ أهلَها أصحابُ غَنَم، ليسوا بأصحاب خَيْلٍ.

قَال: والتَّقَمُّحُ في الشَّراب مأخوذٌ من النَّاقة القامِح، وهي التي تَرِدُ الحوضَ فلا تَشرب.

قَالَ أبُو عُبَيْد: «**فَأَتَقَمَّح**» أي: أُرْوَى حتَّى أَدَع الشُّرْبَ من شِدَّة الرِّي، وكُلُّ رَافِعٍ رأسه فهو مُقَامِح؛ فإن فَعَل ذَلِك بإنسانٍ فهو مُقَمح، وقد رُوِي «**فَأَتَقَنَّح**»، والمراد واحدٌ.

وقولها: جعلني في صهيلٍ وأَطِيطٍ، تعني أنه ذهب بها إلى أهله، وهم أهل جِمَالٍ وخَيْلٍ وإِبِلٍ؛ لأنَّ الصَّهيلَ أصواتُ الخيل، والأطيطَ أصواتُ الإبلِ، تقول: نقلني إلَى قومٍ ذَوِي خيل «**دَايِسٍ**»: يَدُسُّونَ الطعامَ، و«**مُنَقٍّ**» ينقون الطعام.

«**وأَنَاسَ مِنْ حُلِيٍّ أُذُنَيَّ**»، أي: حَلَّانِي قِرطَةً تَتَنَوَّسُ، والنَّوْسُ: الحركة.

«**بَجَّحَهَا**»: سَرَّهَا وفَرَّحَهَا بإحسانه إليها.

«**أنامُ فَأَتَصَبَّحُ**»: أي: لها مَن يَكفيها ويَخدُمها، فهي لا تُكَلَّف بخدمة.

«**أَتَقَنَّحُ**»: تقول: الماءُ لها ممكن، فهي متى شاءتْ شَرِبَتْ.

وقولُها: «**فأقول فلا أُقَبَّح**»، تريد أنَّ قَوْلي مَقبولٌ، وخطئي مستورٌ.

وقال غيرُ ابن الأعرابي: أهل دَايِسٍ مُنَقٍّ، أي: دَايِس الغَنم، والمُنَقُّ: الدَّجاج. قَالَ: «**وأَتَقَنَّحُ**»: أشربُ شَربةً بعد شَربةٍ.

قولها: «**بِشَقٍّ**»: أنَّهم كانوا في شِقِّ جَبل، أي: ناحيته.

والأَطِيطُ: أصله: صوتِ أَعْوَادِ المَحاملِ، والرِّحَالِ عَلَى الجِمال؛ فأرادت أنَّهم أصحابُ مَحَامِلٍ، تُشير بذَلِك إلَى رَفَاهَتِهِمْ.

وقولها: «**ودَايِس ومُنَقٍّ**»: إمَّا أن يكون المرادُ من دايس أنَّ الخَيل تدوس الطعام، أي: الحَب؛ فكأنَّها أرادت أنهم أصحاب زِرَاعَةٍ، أو أنَّ عندهم طعامًا مُنْتَقًى، وهم في دياسِ شيءٍ آخر، أي: في بقيته، فخيرُهم مُتَّصِلٌ.

وقولها: «**مَلَأ مِن شَحْمٍ عَضُدَيَّ**»، فالعَضُدُ إذا سَمنَتْ سَمنَ سَائِرُ الجَسَدِ، وإنما خَصَّت العضُدَ بالذِّكر؛ لأنه أقرب ما يلي بصرَ الإنسان من جسده.

وقولها: «**وأَنَاسَ مِنْ حُلِيٍّ أُذُنَيَّ**»: أنَّه مَلَأَ أُذنيها بالحُلِيِّ، كما جَرَتْ عادةُ النِّسَاء.

والمراد من قولها كُلِّهِ: أنَّه نقلَها من شَظَفِ عَيْشِ أهلها إلَى الثروة الواسعة من الخيل، والإبل، والزَّرع...، إلخ.

«**ابنُ أبي زَرْع! وما ابْنُ أَبِي زَرْع؟ تَكفيه ذِرَاعُ الجَفْرة، ومَضْجَعُهُ مِثْلُ**

مَسَلِّ الشَّطْبَة».

الجَفْرة: العَنَاقُ بنت أربعة أشهر، أو خمسة أشهر. والذَّكَرُ: جَفْرٌ.

والشَّطْبَةُ: السَّعْفَةُ، وقَالُوا: الحَرْبَةُ.

تقول: هو خفيفُ العَظْمِ.

وأصل الشَّطْبَةِ: ما شُطب من جريدِ النَّخْلِ، وهو بِسَعْفَةٍ، فأخبرَتْ أنه مُهَفْهَفٌ ضَرِبُ اللَّحْمِ.

يقول الشارح: الجَفْرَةُ: الأُنثى من ولد الماعز إذا كَانَتْ بنتَ أربعة أشهر، وفُصِلَت عَن أُمِّها، وأخذت في الرَّعي.

والشَّطْبَةُ: سَيْفٌ سُلَّ مِنْ غِمْدِهِ.

والمراد: أنَّها تَصف ابنَ أبي زَرْعٍ بِقِلَّةِ الأَكْلِ، وخِفَّةِ الجسم، وهَذَان ممدوحان.

«بنتُ أبي زَرْعٍ! وما بنتُ أبي زَرْع؟ مِلْءُ فِنَائها، وصُفْرُ رِدَائها، ورضا أُمِّها، وعبرُ جارتها».

تقول: إذا جَلَسَت في فنائها مَلَأَتْهُ مِن حُسنها وكمالها.

رضا أمها: لا تَعْتب عَلَيها في شيء.

عبرُ جارتها: تقول: إذا رأتها جارتُها اسْتَعْبَرَتْ مِن جَمالها وحُسنها.

يقول الشارح: «صُفْرُ ردائها»: الرِّداء: الثوبُ يُلبس فوق سائر اللباس،

obeikandi.com

أي: أنَّ رداءها كالخالي الفارغ؛ إذ لا يمس من جسمها شيئًا.

«جاريةُ أبي زَرْع! وما جاريةُ أبي زَرْع؟ لا تَنِثُّ حَدِيثنا تَنْثِيثًا، ولا تُفَرِّقُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثًا، ولا تملأُ بيتنا تَعْشِيشًا».

«لا تَنِثُّ»: لا تُظهِر.

«**تَنْقِيثًا**»: تعني: الطعام لا تأخذه، فتذهب به، تصفها بالأمانة، والتَّنَقُّثُ: الإسراع في السَّير، قَالَ الفَرَّاءُ: «خرج فلانٌ يَنَتَقَّثُ: إذا أسرع في سَيره».

«أُمُّ أَبي زَرْع! وما أُمُّ أَبِي زَرْع؟ عُكُومُهَا رَدَاحٌ، وبَيْتُهَا فَسَاحٌ».

العُكُوم: الأحمال والأعدال التي فيها الأوعية من صنوف الأطعمة والمتاع، واحدها: عِكْم.

ورَدَاح: عِظَامٌ. ومنه قِيلَ للمرأة: رَدَاحٌ، إذا كَانَت عظيمةَ الكِفْلِ، تعني أن المرأةَ ذاتُ كِفْلٍ عظيم.

ومحصل قول زوجة أبي زَرْعٍ في أُمِّه: أنَّها وصفتها بأنها كثيرةُ الإناث والمال، واسعةُ البيت، فهي في خيرٍ وَفِيرٍ، وعيش رَغد.

وأشارت بهَذَا الوصف إلَى أنَّ زوجها أبا زَرْعٍ كثيرُ البِرِّ بأمه، وأنَّه ليس كبيرَ السِّنِّ؛ لأنَّ ذَلِك هو الغالب فيمن يكون له والدة توصف بمثل ما وصف به هنا.

«خرج أَبُو زَرْعٍ والأَوْطَابُ تُمْخَضُ، فأبصر امرأةً معها وَلَدَانِ لها يلعبان

من تحت خَصْرِهَا بِرُمَّانَتَيْنِ فَنَكَحَهَا وطَلَّقَنِي، فَتَزَوَّجْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا، رَكِبَ شَرِيًّا، وأَخَذَ خَطِّيًّا، وأَرَاحَ عَلَيَّ نَعَمًا ثَرِيًّا، وجعل لي في كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا، وقَالَ لي: يا أُمَّ زَرْعٍ كُلي ومِيرِي أَهْلَكِ، قَالَت: فَوَاللهِ لو جَمَعْتُ جَمِيعَ مَا أعطاني ما بلغ أَصْغَرَ آنِيَةِ أَبِي زَرْعٍ».

قَالَت عَائِشَة: فقَالَ لي رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا عَائِشَة، كنتُ لكِ كأبي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ**»[1].

قولها: «**خَطِّيًّا**»: رُمْح سُمِّيَ خطِّيًّا؛ لأنَّه من قرية يقَالَ لها: الخَطُّ، فنُسِبتِ الرِّماحُ إليها، وإنَّما أصلُ الرِّماحُ من الهند، ولكنها تُحمَل إِلَى الخَطِّ في البحر، ثمَّ تَفَرَّق في البلاد.

قولها: «**نَعَمًا ثَرِيًّا**»: تعني الإبل. والثَّرِيُّ: الكثير من المال.

يقول الشارح: الأَوْطَابُ: جمع وَطْب، وهو وِعَاءُ اللبن، تُمْخَضُ: من المَخْضِ، وهو إخراج الزُّبدة من اللبن بالكيفية المعروفة بالمَخْضِ، والمراد أنه خرج في زمن الخَصْبِ والرَّبيع، والخيراتُ في داره وَفِيرَةٌ.

«**رَجُلًا سَرِيًّا**»: أي: من سُرَاةِ النَّاس، أي: كُبراؤهم في حُسن الصورة والهيئة.

---

(1) أخرجه البخاري (4892)، ومسلم (2447) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع سياق مُختلف، وأنَّ الحاكية هي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«**رَكِبَ شَرِيًّا**»: تعني فرسًا خيارًا فائقًا.

«**وأراح عليَّ نَعَمًا ثَرِيًّا**»: أي: جاء بها في الرَّوَاح، وهو آخر النَّهار، أشارت إلى أنه رَبِحَهَا من الغزو، وذَلِك دليلُ شجاعته، والنَّعَمُ: الإبل خاصة، ويُطلق عَلَى جميع المَواشي إذا كانَ فيها إبل.

و«**ثَرِيًّا**»: أي كثيرةٌ رائحةٌ، الآتية وقت الرَّوَاح.

«**زَوْجًا**»: أي: اثنين.

«**مِيري أهلكِ**»: أي: أَطْعِمِيهم من المِيرة، وهي الطَّعامُ، هكذا بالغَ في إكرامها، ومع ذَلِك كَانَت أحواله عندها مُحْتَقَرةً بالنِّسبة لأبي زَرْعٍ؛ لأن أبا زرع كانَ أَوَّلَ أزواجها، فَسَكَنَتْ مَحَبَّتُهُ في قلبها، وما الحُبُّ إلا لِلْحَبِيبِ الأَوَّلِ.

قَالَ أَبُو الفَضْلِ: وقد حَدَّثَنَاه الزبيرُ بنُ أَبي بَكر بن عَبد الله بن مُصْعَب، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن الضَّحَّاك بن عُثمان، عَن عبد العزيز بن مُحَمَّد الدراوردي، عَن هشام بن عُروَة، عَن أَبيهِ، عَن عَائِشَة: أَنَّ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل عَلَيها- وعندها بعضُ نسائه- فقَالَ: «**يا عَائِشَةُ، أنا لكِ كأبي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ!**». قَالَت: يا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما حَدِيثُ أبي زَرْعٍ؟ فقَالَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ قريةً من قُرى اليَمن كانَ بَطْنًا مِن بُطون أهل اليَمن، فكان منهم إحدى عشرة امرأة، وإنَّهن خَرَجْنَ إلَى مجلسٍ لَهُنَّ، فقَالَت بعضُهن لِبَعْضٍ: تَعَالَيْنَ، فَلْنَذْكُرْ بُعُولَتَنَا بما فيهم ولا نَكْذِب؛ فتعاهدْنَ عَلَى ذَلِك، فقِيلَ للأولى: تَكَلَّمِي بِنَعْتِ زَوْجِكِ، فقَالَت: الليلُ لَيْلُ**

تِهَامَة، والغَيْثُ غَيْثُ غَمَامَة، ولا حَر، ولا خَامة»، أي: ولا وَخْمَة.

«وقِيلَ للثانية: تَكَلَّمِي- وهي عَمْرة بنت عبد عمرو- فقَالَت: المَسُّ مَسُّ أرنب»، وذكر الكَلَام.

«وقِيلَ للثالثة: تَكَلَّمِي، وهي- حُبِّى بنت كعب- قَالَت: مَالِكٌ، وما مَالِكٌ؟»، وذكر الكَلَام.

«وقِيلَ للرَّابعة: تَكَلَّمي- وهي هُدَدُ بنت أبي هَرُومة- فقَالَت: زَوْجِي لَحْمُ جَمَلٍ»، وذكر قولَها.

وقِيلَ للخامسة: تَكَلَّمِي- وهي كَبْشَةُ- قَالَت: زَوْجِي رَفِيع العِمَاد»، وذكر قولها.

«وقِيلَ للسَّادسة: تَكَلَّمِي- وهي هِنْدٌ- فقَالَت: زوجي كُلُّ داءٍ له دَاءٌ، إن حَدَّثْتِه سَبَّكِ، وإن مَازَحْتِهِ فَلَّكِ (أي: جَرَحَكِ في رَأْسِكِ وجَسَدِكِ؛ مِنْ تَوَحُّشِهِ في مِزَاحِهِ»، **وإلَّا جَمَعَ كُلًّا لَكِ.**

وقِيلَ للسابعة: تَكَلَّمِي- وهي أسماءُ بِنت عَبْد- فقَالَت: زَوْجِي إذا أَكَلَ لَفَّ»، وذكر كَلَامها.

«وقِيلَ للثامنة: تَكَلَّمِي- وهي حُبَّى بنت علقمة- فقَالَت: زَوْجِي إذا دَخَلَ...»، وذكر كَلَامها، إلا أنه زاد: «**ولا يَرْفَعُ اليومَ لِغَدٍ**» أي: أنَّه حازم في أموره، فلا يُؤخر ما يَجب عملُه إلَى غَدٍ، أو أنَّه كريم لا يَدَّخِرُ ما حصل عنده اليوم من أجل الغَد.

«وقِيلَ للتاسعة: تَكَلَّمِي، فقَالَت: زَوْجِي مَن لا أذكرُه ولا أَبُثُّ خَبَرَهُ، أخاف أن لا أَذَرَهُ، إن أَذْكُرْهُ أَذْكُرْ عُجَرَهُ وبُجَرَهُ.

وقِيلَ للعاشرة: تَكَلَّمِي- وهي كبيشة بنت الأرقم- قَالَت: نكحتُ العَشَنَّق، إن سَكَتُّ عَلَّق، وإن تَكَلَّمْتُ طَلَّق.

وقِيلَ لأم زَرْعٍ -وهي أم زرع بنت الأُكَيْحِل بن ساعدة- تَكَلَّمي، فقَالَت: أبُو زَرْعٍ، وما أبُو زَرْعٍ؟!».

ثمَّ ذكر الحَدِيث، إلا أنَّه زاد في القول: «بنتُ أبي زَرْعٍ، وما بنتُ أبي زرع؟ مِلْءُ إِزَارِهَا، وصُفْرُ رِدَائِهَا، وزَيْنُ أُمَّهَاتِهَا ونِسَائِها، وقَالَت: خرج من عندي أبُو زَرْعٍ، والأوطابُ تُمَخَضُ، فإذا هو بأُمِّ غُلَامَيْنِ كالفَهْدَيْنِ (أي نَجِيبَيْنِ) يَرْمِيان من تحت خَصْرِهَا بالرُّمَّانَتَيْنِ (تريد ثدييها)، فتزوجَها، وطَلَّقني، فاستبدلتُ بعده- وكُلُّ بَدَلٍ أَعْوَرُ- فتزوجت شابًّا سَرِيًّا، ركب أَعْوَجِيًّا (أي: فَرَسًا أَعْوَجِيًّا، أي: كريم الأصل)، وأخذ خَطِّيًّا، وأراح نَعَمًا ثَرِيًّا، وقَالَ: كُلِي أُمَّ زَرْعٍ، ومِيرِي أَهْلَكِ، فجَمَعْتُ أوعِيَتَهُ، فما تَعْدِلُ وِعَاءً واحدًا من أَوْعِيَةِ أَبِي زَرْعٍ!». قَالَ: فقَالَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعَائِشَة: «فكنتُ لكِ كأبي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ».

وحَدَّثَنَاه عَبدُ الله بن عمرو، قَالَ: حَدَّثَنَا أبُو صالح العبدي المُؤَدِّب، قَالَ: أخبرني عيسى بن يونس بن أبي إسحاق الشَّعْبي، عَن هشام بن عُروَة، عَن أخيه، عَن أَبيهِ، عَن عَائِشَةَ أُمِّ المُؤمِنِينَ قَالَت: «اجْتَمَعَتْ إحدى عشرة امرأة، فتعاقدْنَ وتَوَاثَقْنَ ألَّا يَكتمن شيئًا من أخبار أزواجهن»، ثمَّ ذكر الحَدِيث،

فقدَّم، وأَخَّر، وكُلٌّ بمعنًى واحد، ولفظٌ يزيدُ ويَنقص.

أبُو محلم قَالَ: «مَدَحَتِ امرأةٌ زوجَها بكرم الأخلاق، وخِصب الغنائم، فقَالَت لأُمِّها: يا أُمَّه! مَنْ نَشَرَ ثوبَ الثَّنَاءِ فقد أَدَّى واجبَ الجَزَاءِ، وفي كِتْمَانِ الشُّكْرِ جُحُودٌ لِما أوجب منه، ودخولٌ في كُفر النِّعَم.

فقَالَت لها أُمُّهَا: أي بُنية! طَيَّبْتِ الثَّنَاءَ، وقُمْتِ بالجزاءِ، ولم تَدَعِي للذمِّ موضعًا، ولا ذَمَّ ولا ثناءَ إِلَّا بعد اختبارٍ.

قَالَت: يا أُمَّه! ما مدحتُ حتَّى اختبرتُ، ولا وَصَفْتُ حتَّى شَمَمْتُ.

قَالَ الزوجُ: ما وَفَّيْتُكِ حَقَّكِ، ولا شَكَرْتِ إلا بفضلِكِ، ولا أَثْنَيْتِ إِلَّا بطيبِ حَسَبِكِ، وكَرِيمِ نَسَبِكِ، واللهَ أسألُ أن يُمَتِّعَنِي بما وَهَبَ لي مِنْكِ»[1].

أَحمدُ بن معاويةَ بن بكر الباهلي قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّد بن داود بن علي بن عَبد الله بن العباس أنَّ رجلًا من العرب اسْتَبَى امرأةً، فَوَلَدَتْ له سبعةَ بنينَ، ثمَّ قَالَت له: أَزِرنِي أهلي ليذهبَ عني اسْمُ السِّبَاء، فَفَعَل، وَوَقَعَتْ في نفْسِ رجلٍ من أهلها يقَالَ له: هلباجة، فقَالَ لأصحابه: انزِعوا هَذِه المرأة من هَذَا الرجل؛ فإنه سُبَّةٌ عليكم أن تكون سَبِيَّةً، وزَوِّجُونِيهَا، فأراد صاحبُها أن يَرُدَّهَا، فقَالَت: قد أبى القومُ إلا أن يَنزعوني منكِ، فقَالَ: لا أُفارقكِ حتَّى تُثْنِي عليَّ بما تعلمين، فقَالَت: العَشِيَّة إذا اجتمع القومُ، فاجتمعوا، وحضروا، فقَالَ:

---

(1) أخرجه أبو علي القالي في «الأمالي» (1/ 225).

نَشَدتُكِ هل خبرتِني أو عَلِمْتِني كريمًا إذا اسْوَدَّ الكَرَاسِيعُ أَزْهَرا

قَالَت: نعم. فقَالَ:

نَشَدتُكِ هل خَبرْتِني أو عَلِمْتِني شجاعًا إذا هاب الجبانُ وقَصَّرا

قَالَت: نعم. فقَالَ:

نشدتُكِ هل خبرتِني أو عَلِمْتِني صبورًا إذا ما الشيءُ ولَّى فأَدْبَرا

قَالَت: نعم. وانصرف.

وزاد في قول هَذِه الأبيات:

تَبْكِي عَلَيَّ ليلى بحق بِلَادِهَا وأنتَ عَلَيها بالمَلا كُنتَ أَقْدَرا

تَبْغَاني الأعداءُ إما ذوي دَم وإما أخا شغب العشيات مسعرا

إذا المرء لم يبغ المعاشَ لنفسِه شكا الفقرَ أو لامَ الصديقَ فأكثرا

وكان عَلَى الأدنين كَلًّا وأوشكت صلاتُ[1] ذوي القربى له أن تنكَّرا

فتزوجها الهلباجةُ، فولدت له بنين، ثمَّ تَبَاغَضا، فسألته الطلاقَ، فقَالَ: لا، حتَّى تُثْني عليَّ[2]، فقَالَت: لا أُثني عليكَ، فإنه خيرٌ لكَ، فَأَبَى، فقَالَت: فهو غَدُكَ[3] إذا اجتمع القومُ، فلما اجتمعوا قَالَت: أَعْلَمُكَ إذا أكلتَ احْتَفَفْتَ،

---

(1) **الأدنين:** أي: الأقربين. **كلًّا**، أي: ثقلًا. **صلات:** جمع صلة، وهي العطاء.

(2) يقال: أثنى عليه خيرًا، وأثنى عليه شرًّا، فالثناء بالمدح والذم، ولكنه أكثر ما يستعمل الآن في المدح.

(3) غد: بمعنى باكر.

وإذا شربتَ اشْتَفَفْتَ، وإذا اشْتَمَلْتَ الْتَفَفْتَ، وأَعْلَمُكَ تَشْبَعُ ليلةً تُضاف، وتنامُ لَيْلَةً تَخَاف، وأَعْلَمُ عَيْنَكَ نَؤومة، واسْتَكَ يَقظة[1]، وعصاك خَشَبة، ومشيك لبجة»[2].

قولها: «احْتَفَفْتَ»: أكلتَ بيديكَ جميعًا بِشَرَهٍ.

و«اشْتَفَفْتَ»: شَرِبْتَ جميعَ ما في الإناء مِن الماء.

أَحمد بن الحارث، عَن علي بن مُحَمَّد السمري، عَن مَسلمة بن محارب، قَالَ: قَالَ الأحنفُ بن قيس: «ذكرت بلاغاتِ النِّسَاء عِند زياد بن أبيه، فأخبرتُه أنَّ قيس بن عاصم أَسْلَمَ وعنده امرأةٌ من حَنِيفَةَ، فَأَبَى أهلُها وأبوها أن يُسلموا، وخافوا إسلامَها، فأقسموا لها إن فَعَلَتْ لم يكونوا معها في شيءٍ ما بَقِيَتْ، ففارقها قَيْسٌ، فلما احتُملت إلَى أهلها، وحَضَرَهَا بعضُهم، قَالَ قيسٌ: إن كنتِ لَسَلْوَةً، ولقد فارقتُكِ غَيْرَ عَارَّةٍ، ولا الصحبةُ منكِ مملولةٌ، ولا الخلائقُ منكِ مذمومةٌ، ولولا ما آثرتِ[3] ما فَرَّق بيننا إلا الموتُ، ولكنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ ورسولَه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأَمْرَهُمَا أحقُّ أن يُطاع، فقَالَت: أثنيتَ بحسبِكَ وفضلِك، وأنتَ- واللهِ- إن كنتَ لدائمَ المحبةِ، كثير القَفِيَّة[4]، قليل الألية[1]،

---

(1) **استك يقظة:** أي: كثيرة الضراط.

(2) **لبجه،** من لبج به الأرض، ومعناه: صَرَعَه ورَمَاه.

(3) **آثرتِ**: أي: فَضَّلت.

(4) **القفية:** أي: المزية تكون لك على الخير.

مُعجب الحَلْوَة، بعيد النَّبْوَة[2]، ولأن تكونَ أَيْمَتِي[3] في حياتِكَ أهونُ منها عليَّ لمماتِك، ولتعلمنَّ أني لا أَريح[4] إلَى حُضْنِ زوجٍ بعدك!

قَالَ: فقَالَ قيسٌ: ما فَارَقَتْ نفسي شيئًا تَتبعُه كما تَتبعْتُهَا».

وقَالَ أَحمد بن الحارث: حَدَّثَنِي عَبدُ الله بن علي، عَن أبي عمرو بن العلاء، قَالَ: «تَزَوَّج رجلٌ في الجاهلية بامرأة من بني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر، وكان الرجل من بني غدانة، ففارقها، فدخل عَلَيه مِن فِراقها غمٌّ شديدٌ، فلما زايلته[5] قَالَ: استمعي ويستمع من حَضَر! أما لقد اعتمدتُكِ[6] برغبةٍ، وعاشرتُكِ بِمَحَبَّةٍ، ولم أجد عليكِ زَلَّةً، ولم تدخلني لكِ ملَّة، وإن كانَ ظاهرُكِ لَسُرورًا، وباطِنُكِ لَلْهَوَى، ولكنَّ القَدَرَ غَالِبٌ، وليس له صَارِفٌ.

فقَالَت المرأة- مجيبةً-: أثنيتَ وأنا مُثْنِيَةٌ، فَجُزِيتَ مِنْ صَاحِبٍ ومصحوبٍ خيرًا، فما اسْتَرَثْتُ خيرَك[7]، ولا شكوتُ خبرَك، ولا تَمَنَّتْ نفسي

=

(1) الألية: أي: الحلف.

(2) **بعيد النبوة:** مِن نَبَا حَدُّ السَّيف، إذا لم يَقطع.

(3) **الأيم:** الذي لا زوج لها.

(4) **أريح:** أنام وأجد راحتي.

(5) **زايلته:** أي: فَارَقَتْهُ.

(6) **اعتمدتك:** أي: قصدتك.

(7) **اسْتَرَثْتُ خيرَك،** أي: استبطأته.

غيرَك، وما ازددتُ إليكَ إلا شَرَهًا، ولا أحسستُ في الرجال لكَ شبهًا، قَالَ: ثمَّ افترقا».

حَدَّثَنِي عَبدُ الله بن أبي سعد، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّد بن عَبد الله بن طهمان، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّد بن زياد الأعرابي، قَالَ: قامت امرأةُ عُروَة بن الوَرْدِ العبسيِّ - بعد أن طَلَّقَها- في النادي: «أما أَنَّكَ- والله- الضَّحُوكُ مُقْبِلًا، السَّكُوتُ مُدْبِرًا- خفيفٌ عَلَى ظهر الفَرَسِ، ثقِيلٌ عَلَى مَتْنِ العَدُوِّ، رَفِيعُ العِمَادِ، كثيرُ الرَّمَادِ[1]، تُرْضِي الأهلَ والأجانبَ.

قَالَ: فتزوجَها رَجُلٌ بعدَهُ، فقَالَ: أَثْنِي عَلَيَّ كما أثنيتِ عَلَيهِ.

قَالَت: لا تُحوجْنِي إلَى ذَلِك؛ فإني إن قلتُ قلتُ حقًّا، فَأَبَى.

فقَالَت: إِنَّ شَمْلَتَكَ الالتِفَافُ، وإِنَّ شُرْبَكَ الاشْتِفَافُ، وإِنَّكَ لَتَنَامُ ليلةً تَخَاف، وتَشْبَعُ ليلة تُضَاف».

قَالَ بندار بن عَبد الله: حَدَّثَنِي أبُو موسى الطائي الأعرابي، قَالَ: «تَذَاكَرَ نسوةٌ الأزواجَ؛ فقَالَت إحداهن: الزَّوْجُ عِزٌّ في الشدائد، وفي الرَّخاءِ مُسَاعِدٌ، إن رضيت عَطَف، وإن سَخِطت تَعَطَّف.

وقَالَت الأخرى: الزوج لِمَا عناني كافٍ[2]، ولما شَفَّنِي[1] شافٍ، رَشْفُه

---

(1) **كثير الرماد:** كناية عن الكرم.

(2) **عناني،** أي: أهمني.

كالشَّهد[2]، وعِنَاقُهُ كالخُلد، لا يُمَلُّ عَن قُرْبٍ ولا بُعْدٍ.

وقَالَت الأخرى: الزَّوْجُ شِعَارٌ[3] حين أصرد[4]، يسكن حين أَرْقُد، ومُنَى لَذَّتِي شف مُفْرَد[5]، وما عادَ إلا كانَ العودُ أَحْمَدَ.

وقَالَت الأخرى: الزَّوج نَعِيمٌ لا يُوصف، ولَذَّةٌ لا تَنقطع ولا تُخْلَف»[6].

وقَالَ إسحاق الموصلي: عَن أبي عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنِي أبُو دينار بن الزغبل بن الكلب العنبري، قَالَ: «كنت عِند صاحب فَيْدٍ، فجاء طائيٌّ وطائِيَّةٌ، فَاخْتَلَعَتْ[7] منه؛ فَتَشَاتَمَا، فقَالَ لها: إن كنتِ- واللهِ- لَطَلِعَةً[8]، قَنِعَةً[9]، لما سُئِلْتِ مَنِعَة.

=

(1) **شفني:** أمرضني، ونحلني.

(2) **رشفه كالشهد،** أي: ماء فمه وتقبيله.

(3) **الشعار:** الثياب اللينة على الجسد، أو ما يُلبس على الجلد.

(4) **الصرد:** البرد.

(5) **من شف:** تحرك لخفته.

(6) أخرجه أبو علي القالي في «الأمالي» (1/ 80).

(7) **اختلعت:** هو الخُلع، وهو فسخ عقد الزواج بعوضٍ من المرأة.

(8) **طلعة:** أي: تُكثر التطلع.

(9) **قنعة:** أي: تُكثر السؤال والتَّذَلُّل.

فقَالَت: وأنتَ- واللهِ- قليلُ الخير، كَثِيرُ الشَّرِّ، خَفِيفُ العَجُزِ[1]، ثقِيلُ الصَّدْرِ»[2].

ذكر لنا المَدائنيُّ، قَالَ: «تَزَوَّج حِصن بن خُليد بِنْتَ الورد بن الحارث، ثمَّ طَلَّقَهَا، فجاء إِخْوَتُهَا ليحملوها، فقَالَت: مُرُّوا بي عَلَى المجلس بالحي أُسَلِّم عَلَيهم، فنِعم الأَحْماءُ[3] كانوا، فأقبل هو، وهي في قُبَّتِها، فقَالَت: جزاكم اللهُ خيرًا، فما أكرم الجِوارَ، وأَكَفَّ الأَذَى!

قَالُوا: ما الَّذي كان عَن ملامنا ولا هوًى.

قَالَت: إني أريدُ أن أشهد عَلَى شهادةٍ، فإني حاملٌ!

فَوَثَبَ حِصْنٌ، فقَالَ: كلُّ مملوك لي كلٌّ[4] إن كنتُ كَشَفْتُ لها كَتِفًا.

قَالَت: الله أكبر! إنَّما أردتُ أن أُعلمكم أني لم أُطَلَّق من بُغْضٍ، ولا قِلى[5]، فعليكم السَّلامُ».

وقَالَ الأصمعي: حَدَّثَنِي عبدُ الرحمن المَدائنيُّ، قَالَ: قلتُ لأبي جَفْنَة

---

(1) **العجز:** العجز هو المُؤخرة. وخفته كناية عن ضعف حركته للأمام أثناء الجماع.

(2) **ثقيل الصدر:** أي: يُلقي بصدره الثقيل عليها، يَكاد يكتم أنفاسها.

(3) **الأحماء:** هم أقارب الزوج.

(4) الكَلُّ: الثَّقيل الذي لا خيرَ فيه، أو أراد أنه عتيق أو حُرٌّ.

(5) **قلى:** أي: كراهية وحِقد.

الهُذَلِي- وطَالَتْ صُحْبَتُه لِامْرَأَتِهِ- وكَانَت تُدْعَى أُمَّ عقار، ما تقول في أُمَّ عقار؟

فقَالَ: إن كنتَ مُتَزَوِّجًا فإيَّاكَ وكُلَّ مُجْفَرةٍ[1]، مُنْكَرة، مُنتفخة الوريد[2]، كَلَامُها وَعِيد، وظهرُها حَدِيد، سَفْعَاء[3]، فَوْهَاء[4]، قليلةُ الارْعِوَاء[5]، دائمةُ الدُّعَاء، طويلة العُرْقُوب[6]، عالية الظُّنْبُوب[7]، مِقَمٌّ[8]، سَلْفَع[9]، لا تُروى ولا تَشبع، حديدةُ الرُّكْبَة، سريعة الوَثْبَة، قصيرة النُّقْبَة[10]، شَرُّهَا يفيض، وخَيْرُهَا يغيض[11]، لا ذات رَحِمٍ قريبة، ولا غريبة نجيبة، إمساكُها مصيبة، وطلاقها حَرِيبة[12]، بادية القَتِير[1]، عالية الهَرِير[2]، شَثْنَةُ الكَفِّ[3]، غليظةُ الخُفِّ[4]،

---

(1) **مجفرة**، أي: متغيرة ريح الجسد.

(2) **الوريد**: عِرق في العنق.

(3) **سفعاء**: المرأة التي اسوَدَّ خَدُّها وجِلْدُها.

(4) **الفَوْهَاءُ**: الواسعةُ الفم والأشداق.

(5) **الارعواء**: النزوع عن الجهل.

(6) **العرقوب**: عصب غليظ فوق عقب الإنسان.

(7) **عالية الظنبوب**، أي: عظم الساق.

(8) **المقم**: كثيرة الأكل.

(9) **السلفع**: الصَّخابة البذيئة السيئة الخُلُق.

(10) **قصيرة النقبة**، أي: القامة.

(11) **وخيرها يغيض**: يَنقص ويَقِلُّ.

(12) **الحريب**، مِن حَرب حربًا، أي: أخذ جميع ماله.

obeikandi.com

وَحْشٌ غير ذَات سَكَن[5]، تُعين عَلَى بعلها الزَّمَنَ، وتَدْفِنُ الحَسَنَ، لا تَعْذِرُ بِقِلَّةٍ، ولا تُجازِ عَن زَلَّة، تأكل لمًّا[6]، وتُوسع ذَمًّا، إذا ذهب هَمٌّ أحدثت هَمًّا، ذات ألوان وأطوار، تُؤذي الجار، وتُفشي الأسرار.

قَالَ: فقلت لأم عقار: أما تسمعين ما يقول أبُو جَفْنَة؟

قَالَت: فلعن اللهُ أبا جَفْنَة، فبئس- والله- ما عَلِمْتُ زوجَ المرأة المُسلمة: قَضِمة[7]، حَطمة[8]، أحمر المَأْكَمَة[9]، محرون اللهْزمَة[10]، له جِلْدَةٌ هَرِمَة، وأُذُنٌ هَدْبَاء[11]، ورَقَبَةٌ هَلْبَاء[1]، وشَعْرَةٌ صَهْبَاء[2]، لئيم الأخلاق،

=

(1) **القتير:** الشيب.

(2) **الهرير:** صوت الكلب دون نباحه.

(3) **شثنة الكف،** أي: غليظة خشنة.

(4) **غليظة الخف،** الخف: ما أصاب الأرض من باطن قدم الإنسان.

(5) **غير سكن،** أي: غير قرار لها.

(6) **تأكل لمًّا،** أي: بشدة.

(7) **القضمة:** ما كَانَتْ أَسْنَانُهُ مُتَكَسِّرَةَ الأَطْرَافِ.

(8) حطمة: الحَطْمة من السنين: الشديدة الجدب.

(9) **المأكمة:** لحمة على رأس الورك.

(10) **اللهزمة:** ما بين الترقوتين.

(11) **هدباء،** أي: طويلة متدلية.

obeikandi.com

ظاهر النِّفاق، أخو ظَنٍّ، وصاحب هَمٍّ وحزن، وحقد وإِحَن، رهين الكاس، دائم الإفلاس من كل خيرٍ يُرتجى عِند النَّاس، خيرُه محبوس، وشَرُّه مَلْبُوس، أشأمُ من البَسُوس[3]، يسأل إلحافًا[4]، وينفق إسرافًا، لا ألوف يُفيد، ولا مِتْلَاف قصود، (أي: لا مقصود)، شرٌّ أشنع، وبَطْنٌ أجمع، ورأسٌ أَصْلَع مجمع، مُضَفْدَع في صورة كلب وبدن إنسان، هو الشيطان، بل أُمُّ الصِّبْيَان»[5].

قَالَ: فحكينا قولَها لأبي جَفْنة، فقَالَ: فما فَمُها ببارد، ولا ثَدْيُها بناهد، ولا بطنُها بوالد، ولا شَعْرُها بِوَارِد، ولا أنا إن ماتتْ بِوَاجِدٍ[6]؛ وذَلِك أنَّ الشرَّ فيها ليس بِوَاحِد.

فحكينا قوله لها، فقَالَت: هو- واللهِ- ما علمتُه قَصِيرَ الشِّبْرِ، ضَيِّقَ

=

(1) **هلباء:** كثيرة الشعر.

(2) **صهباء،** أي: حمراء، أو شقراء.

(3) **البسوس:** هي سعاد بنت مُنْقِذ بن سلمان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم، شاعرة جاهلية، كانت السبب في إشعال فتيل الحرب بين بكر بن وائل وتغلب أربعين عامًا حتى سُمِّيت الحرب بحرب البَسوس، وصار يُضرب المَثَل الشؤم بالبَسوس، فيقال: «أشأم من البسوس».

(4) **إلحافًا:** أي: إلحاحه وإصراره.

(5) **أم الصبيان:** نوعٌ من الشَّياطين يُعتقد أنه يُؤذي الصِّبيان.

(6) **واجد،** أي: حَزِن.

الصَّدْرِ، لَئِيمَ النَّجْر[1]، عظيم الكِبر، كثير الفَخْر»[2].

علي بن الصباح قَالَ: أَخبرَنَا هشامُ بن مُحَمَّد الكلبي، عَن أَبيهِ، قَالَ: «بَعَثَ النعمانُ بنُ امرؤ القيس بن عمرو بن عدي بن نضر إلَى نِسْوَةٍ من العرب، منهن فاطِمَة بنت الخرشب- وهي من بني أنمار بن بغيض، وهي أم الربيع بن زياد، وإخوته- وإلى قيلة بنت الحسحاس الأسدية- وهي أم خالد بن صخر بن الشريد- وإلى تَماضر بنت الشَّريد- وهي أم قَيس بن زهير، وإخوته كلهم- وإلى الرواع النمرية- وهي أم يزيد بن الصعق- فلما اجْتَمَعْنَ عنده، قَالَ: «إني قد أُخْبِرْتُ بِكُنَّ، وأردتُ أن أَنْكِح إليكن[3]، فأَخْبِرْنَنِي عَن بناتِكُن!

فقَالَت فاطِمَةُ: عندي الفَتْخَاءُ[4] العَجْزَاءُ[5]، أَصْفَى من الماء، وأَرَقُّ من الهواء، وأَحْسَنُ مِنَ السَّمَاء.

وقَالَت تماضر: عندي مُنتهى الوصاف، دفيئة اللحاف، قليلة الخِلاف.

---

(1) **النجر**، أي: الأصل.

(2) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (60/ 55).

(3) **أنكح إليكن**، أي: أخطب بناتكن لنفسي.

(4) الفتخاء: اللينة الجناح.

(5) **العجزاء**: أي: كبيرة المؤخرة.

وقَالَت الرواع: عندي الحُلوة الجهمة[1]، لم تلدها أَمَة.

وقَالَت قيلة: عندي ما يجمع صفاتهن، وفي ابنتي ما ليس في بناتهن.

فتزوج إليهن جميعًا، فَلَمَّا أُهْدينَ إليه دخل عَلَى ابنة الأنمارية، فقَالَ: ما أوصتكِ به أُمُّكِ؟

قَالَت: قَالَت لي: عَطِّرِي جِلْدَكِ، وأطيعي زَوْجَكِ، واجعلي الماءَ آخرَ طِيبِكِ.

ثمَّ دخل عَلَى ابنة السلمية، فقَالَ: ما أوصتكِ به أُمُّكِ؟

قَالَت: قَالَت لي: لا تَجْلِسي بالفناء، ولا تُكْثِرِي من المِرَاء[2]، واعلمي أن أطيب الطيب الماء.

ثمَّ دخل عَلَى ابنة النمرية، فقَالَ: ما أوصتكِ به أُمُّكِ؟

قَالَت: قَالَت لي: لا تُطَاوِعِي زَوْجَكِ فَتَمَلِّيهِ، ولا تُعَاصِيهِ فتشكيه[3]، واصدقيه الصَّفَاء، واجعلي آخرَ طِيبِكِ الماء.

ثمَّ دخل عَلَى ابنة الأسدية، فقَالَ: ما أوصتكِ به أُمُّكِ؟

قَالَت: قَالَت لي: أَدْنِي سِتْرَكِ، وأكرمي زَوْجَكِ، واجتنبي الإباء، واسْتَنْظِفِي بالماءِ».

---

(1) **الجهمة**، أي: ضخمة.

(2) **المراء**: الجدل والشك.

(3) **فتشكيه**، أي: تغضبيه.

قَالَ: وقَالَ هشام بن مُحَمَّد الكلبي، عَن أَبيهِ، قَالَ: «كَانَت امرأة من العرب عِند رجل، فَوَلَدت له أولادًا أربعة رجالًا، ثمَّ هلك عنها زوجُها، فَتَزَوَّجت بعدَه، فنأى بها زوجُها عَن بَنيها، وتَزَوَّجوا بعدها، ثمَّ إنها لَقِيَتهم، فقَالَت: يا بني! إني سائلتكم عَن نسائكم، فأخبروني عنهن!

قَالُوا: نفعل.

فقَالَت لأحدِهم: أخبرني عَن امرأتك!

فقَالَ: غُلٌّ[1] في وَثَاق[2]، وخُلُقٌ لا يُطَاق، حُرِمْتُ وِفَاقَها، ومُنِعْتُ طَلاقَها.

وقَالَت للثاني: كيف وجدتَ امرأتَك؟

فقَالَ: حُسْنٌ رَائعٌ، وبَيْتٌ ضَائعٌ، وضَيْفٌ جَائعٌ.

وقَالَت للثالث: كيف وجدتَ امرأتَك؟

قَالَ: دُلٌّ لا يُقْلى[3]، ولَذَّةٌ لا تُقضى، وعَجَبٌ لا يَفْنى، وفَرَحُ مُضِلٍّ أصاب ضَالَّتَهُ، وريحُ رَوْضَةٍ أصابت ربابها[4].

---

(1) **غُل:** أي: قيد.

(2) **الوَثاق:** ما يُشَدُّ به.

(3) **لا يقلى:** لا يُكره، ولا يُبغض.

(4) **ربابها**، أي: حاجتها.

=

قَالَت: فهل أصفُ لكم كيف وجدتُ زوجي؟

قَالُوا: بلى.

قَالَت: جمل ظعينة، وليث عَرينة، وكِلٌ [1] صخرٍ، وجِوار بحرٍ».

قَالَ: وقَالَ أبُو المُنذر هِشام، عَن أَبيهِ، قَالَ: «كَانَت مَلِكَةُ سَبَأ لا تُريد الأزواج، فقلن لها نِسوةٌ- كُنَّ يَكُنَّ معها-: أَلَا تَتَزَوَّجين أصلحكِ الله!

قَالَت: وَيْحَكم! وما التزويج؟

قُلْنَ: إنَّ فيه من اللذة ما ليس في شيءٍ من الأشياء.

قَالَت: فلتصفْ لي كُلُّ امرأةٍ منكن زوجَها، فإن كانَ يدعو إلَى اللَّذَّة فبالحَرِي أن أفعل!

قلن: نحن نَصِفُ لَكِ أزواجَنا.

قَالَت: فَصِفْنَ لي!

فقَالَت الأولى: هو عِزٌّ في الشدائد، وفي الرَّخاء مُساعد، وإن رجعتُ ألطف، وإن غضبتُ تَعَطَّف.

= **وسقط كلام الولد الرَّابع، ووجدتُه في «مجالس ثعلب» (ص 10):** «وقالت للآخر: كيف وجدت أهلك؟ فقال: ظِلُّ أَثَلة، ولِين رَملة، وجَنى نَخْلة، وكأنِّي كلَّ يوم آيبٌ».

(1) **وكل**، أي: ثِقل.

قَالَت: نِعْمَ الشيء هَذَا!

قَالَت الثانية: هو عندي كافٍ، ولِمَا شَفَّنِي[1] شافٍ، رَشْفُهُ كَالشَّهْدِ، وعِنَاقُهُ كَالخُلْدِ، لا يُمَلُّ لِطولِ العَهْدِ.

قَالَت: هَذَا- واللهِ- الَّذي لا عِدل له[2]!

قَالَت الثالثة: هو شِعاري[3] حين أصرد[4]، وسكني حين أرقد، ومُنى نفسي لِشَبَقٍ[5] يَتَرَدَّد.

قَالَت: سبحان الله! هَذَا- واللهِ- الَّذي لا يَعْدِلُه شيء! وكُلُّكُنَّ قد أحسن الصفة، فإن كانَ كما زعمتُنَّ أَكْرَمْتُكُنَّ، وأحسنتُ إِلَيْكُنَّ، وإلا عَذَّبْتُكُنَّ، وأسأتُ إليكن، فَتَزَوَّجَتْ بابن عَمٍّ لها، يقَالَ له: شداد بن زرعة، فَاحْتَجَبَتْ عَن النَّاس شهرًا، ثمَّ خرجت، فجلستْ في مجلسها الَّذي كَانَت تجلس فيه، فجئن النِّسوة، فسألنها عَن خبرها، فقَالَت: نعيمٌ لا يُوصف، ولَذَّةٌ لا تَنقطع!».

---

(1) **شفني**، أي: أسقمني.

(2) **لا عِدل**: لا نظير له.

(3) **الشِّعار**: ما يُلبس على الجِلد من لباس لَيِّن.

(4) **أصرد**، من الصرد: وهو البرد.

(5) **الشَّبق**: هو اشتداد الشهوة.

obeikandi.com

قَالَ: وأَخبرنَا هشام، عَن أبي مسكين، قَالَ: جلس دُرَيْدُ بن الصِّمَّة بفناء بيته، وعنده أناسٌ من أصحابه، فأنشدهم:

أرثَّ[1] جديدُ الحَبْل[2] مِن أُمِّ مَعبد ... بعاقبــةٍ وأَخْلَفَــتْ كُــلَّ مَوْعِــدِ

وبَانَتْ[3] ولم أَحْمَدْ[4] إليك جِوَارَهَا ... ولم تَرْجُ فينا رِدَّةَ اليوم أَوْ غَدِ[5]

قَالَت: فَأَخْرَجَتْ رَأْسَهَا من جانب الخِبَاءِ، فقَالَت: بِئْسَ- لَعَمْرُ اللهِ- ما أثنيتَ أبا قُرَّة، أما والله لقد أطعمتُكَ مَأْدُومِي[6]، وحَدَّثْتُكَ مَكْتُومِي، وجئتُكَ باهلًا غير ذات صرارٍ[7].

فقَالَ: اللَّهُمَّ غُفْرًا»[8].

أبو حفص عمر بن بدير، عَن الهيثم بن عدي، قَالَ: حَدَّثَنِي رجل من كِنْدَةَ من بني بدَّا، قَالَ: رحل الحارث بن السَّليل الأسدي زائرًا لعلقمة بن

---

(1) **أَرَثَّ**: صار رثًّا، أي: بِلِيَ.

(2) **الحبل**: العهد.

(3) **بانت**، أي: فَارقت.

(4) **ولم أحمد**، أي: ولم أمدح.

(5) الردة: الرجوع: وانظر «منتهى الطلب من أشعار العرب»، شعر دريد بن الصمة.

(6) **المأدوم**: الطعام المخلوط بالإدام.

(7) **باهلًا غير ذات صرار**: أي: صغيرة السِّنِّ.

(8) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (17/ 234).

حفصة الطائي، وكان حليفًا له، فنظر إلَى ابنةٍ له يقَالَ لها: الرباب، وكَانَت أجملَ أهلِ زمانها، فأُعجب بها، فقَالَ: جئتُكِ خاطبًا، وقد ينكح الخاطب، ويُدرك الطالب، ويَنجح الراغب!

فقَالَ علقمة: أنتَ كفؤٌ كريمٌ، ثمَّ انْكَفَأَ[1] إلَى أُمِّهَا.

فقَالَ: الحارثُ بن السليل- سَيِّدُ قَوْمِهِ حَسَبًا ومَنْصِبًا وبيتًا- أتانا خاطبًا، فلا ينصرفن من عندنا إلا بحاجته، فأريدي[2] ابنتكِ عَلَى نفسها في أمره.

فقَالَت: يا بُنيةُ! أَيُّ الرِّجَالِ أَحَبُّ إليكِ؟ الكهل الحجحاج[3] الفاضل الهياج، أم الفتى الوضاح الذمول الطماح؟

قَالَت الجارية: الطَّمَاح.

قَالَت: إنَّ الفتى يُغيرك[4]، وإنَّ الشيخ يُميرك، وليس الكهل الفاضل الكثير النائل كالحَدَث السِّن الكثير المَنِّ.

قَالَت: يا أُمَّه، إنَّ الفتاةَ تُحِبُّ الفتى كحُبِّ الرُّعاة أنيق الكلأ[5].

---

(1) **انكفأ:** أي: رجع.

(2) **أريدي**، أي: راودي.

(3) **الكهل الحجحاج**، أي: العظيم الجانب.

(4) **الفتى يغيرك**، مِن أغار أهله: تَزَوَّج عليها فغارت.

(5) **أنيق الكلأ**، أي: مُعجب عشب الرَّعي.

قَالَت: يا بُنيةُ، إنَّ الفتى شديد الحجاب كثير العِتاب، وإنَّ الكهل لين الجناح، قليل الصِّياح.

قَالَت: يا أُمَّه، أخشى الشيخ أن يُدَنِّس ثيابي، ويُبْلِي شبابي، ويُشْمِت بي أَتْرَابي[1]، فلم تزل بها أُمُّهَا حتَّى غَلَبَتْهَا عَلَى رأيها، فتزوجها الحارث بن السليل عَلَى خمس ديات من الإبل، وخادم، وألف درهم، فابنتى بها[2]، ورحل إلَى قومه، فبينا هو جالسٌ ذات يوم بفناء مَظلته- وهي إلَى جنبه- إذ أقبل فتيةٌ من بني أسد نشاط يَعتلجون ويَصطرعون، فَتَنَفَّسَت صعداء[3]، ثمَّ أَرْخَت عينيها بالدُّموع، فقَالَ لها: ثَكِلْتُكِ! ما يُبكيكِ؟

قَالَت: ما لي والشُّيوخ الناهضين كالفروخ!

قَالَ: ثَكِلَتْكِ أُمُّكِ! تَجُوعُ الحُرَّةُ ولا تَأْكُلُ بِثَدْيَيْهَا. (فَذَهَبَتْ مَثَلًا).

وقَالَ: الْحَقِي بِأَهْلِكِ، فلا حاجةَ لي فيكِ.

فقَالَت: أسر من الرِّفَاءِ والبَنين»[4].

قَالَ أبُو زيد عمر بن شَبَّة: كَانَت حميدة بنت النعمان بن بشير بن سعد

---

(1) **الأتراب**: النُّظراء في السِّنِّ.

(2) فابتنى بها، أي زُفَّت إليه وتَزَوَّجها.

(3) **يعتلجون**، أي: يتصارعون ويتقاتلون. **وتنفست الصعداء**، أي: تنفَّسًا طويلًا.

(4) **الرفاء**، أي: الاتفاق.

تحت رَوْح بن زِنْبَاع، فنظر إليها يومًا تَنظر إلَى قومِه جُذَام[1] - وقد اجتمعوا عنده- فَلَامَهَا، فقَالَت: وهل أرى إلا جذامًا، فوالله ما أُحِبُّ الحلالَ منهم، فكيف بالحرام؟! وقَالَت تهجوه:

بكى الخَزُّ من رَوْحٍ وأَنْكَرَ جلدَهُ ... وعَجَّت عَجيجًا من جذام المَطارفُ

وقَالَ العَبَا قد كنتُ حينًا لباسَكم ... وأكسيةٌ كُرْدِيَّةٌ وقَطائفُ[2]

فقَالَ روح يُجيبها:

فإن تَبْكِ مِنَّا تبكِ مِمَّن يُهِينُهَا ... وإن تَهْوَكم تَهْوَ اللِّئامَ المقَارِفَا[3]

وقَالَ لها روح:

أَثْنِي عَلَيَّ بما علمتِ فإنَّني ... مُثْنٍ عليكِ لَبئس حَشْوُ المِنْطَقِ

فقَالَت:

أُثْنِي عَلَيْكَ بِأَنَّ بَاعَكَ ضَيِّقٌ ... وبِأَنَّ أَصْلَكَ في جُذَامٍ مُلْصَقُ

فقَالَ:

---

(1) **جذام:** اسم قبيلة.

(2) **الخز والمطارف والعبا والقطائف:** هو صوف من الملبوس. وعجت: أي: صاحت.

والمراد: أن ثياب جذام تشكو من أجسادهم. وهذا تعريض بجذام، وأنَّه الداء المعروف.

وانظر «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني (16/ 61).

(3) **المقارف:** جمع مقرف، وهو مَن أُمُّه عَربية، وهو يُعيره بأنه من قبيلة ليست من صميم العرب.

obeikandi.com

أَثْنِـي عَلَـيَّ بمـا عَلِمْـتِ فـإنَّني ... مُثْنٍ عليك بِنَتنِ ريح الجَوْرَبِ[1]

فقَالَت:

فثناؤنـا شَـرُّ الثنـاء علـيكمُ ... أَسْوَا وأَنْتَنُ مِن سُلَاح الثَّعْلَبِ[2]

وقَالَ:

فهـل أنـا إلا مُهْـرَةٌ عربيَّـةٌ ... سَـليلةُ أفـراسٍ تَحَلَّلَهـا بَغْـلُ

فـإن نتجت مُهْرًا كريمًا فبالحَرَى ... وإن يك إقرافٌ فمِنْ قِبَلِ الفَحْل[3]

فقَالَ روح:

فمـا بـالُ مُهْـرٍ رائـع عَرَضَـتْ لـه ... أتـانٌ فبَالـت عِنـد جَحْفَلَةِ الفحـل[4]

إذا هـو وَلَّـى جانبًـا رَبَخَـتْ لـه ... كما ربخت قَمْراءُ في دمسٍ سهل[5]

وقَالَت لأخيها أبان بن النعمان:

أَطَـالَ اللهُ شـأوك مِـن غُـلَام ... متـى كَانَـت مناكحنـا جُـذَامُ

---

(1) **الجورب:** ما يُلبس في القَدَم.

(2) **سلاح الثعلب:** أي: غائطه وفساؤه.

(3) **الأقراف:** المختلط النَّسَب بأن كانت أمه عربية دون أبيه. **والفَحل:** الذَّكَر.

(4) **رابع**، أي: مُعجب. يعني نفسه. **والأتان:** الحمارة يَعني زوجته. والجحفلة للخيل بمنزلة الشَّفة للإنسان.

(5) **قمراء**، أي: أتان قمراء لونها إلى الخضرة أو البياض فيه كدورة. والدمث: السهل اللين، وهو وصف لمكان.

أَتَرْضَى بالفَرَاسِنِ والذُّنابي ... وقد كُنَّا يَقِرُّ لنا السَّنَامُ[1]

فقَالَ ابنُ عَمٍّ لِرُوحٍ يجيبها ويهجو قومَها:

رَضِي الأشياخُ بالقيطور فَحْلًا ... ونَرْغَبُ بالحَمَاقَةِ عَن جُذَام[2]

يهودِيٌّ لَه بُضْعُ العَذَارَى ... فَقُبْحًا لِلْكَهُولِ وللْغُلَام[3]

تُزَفُّ إليهِ قَبْلَ الزَّوْجِ خودٌ ... كأنَّ شمسًا تَدَلَّتْ عَن غَمَام[4]

فأبقى ذلكم خِزيًا وعارًا ... بقاءَ الوَحْي في صُمِّ السَّلَام[5]

يَهُودٌ جُمِّعُوا مِن كُلِّ أَوْبٍ ... ولَيْسُوا بِالغَطَارِيفِ الكِرَام[6]

وقَالَت:

سُمِّيتَ رُوحًا وأنت الغمُّ قد عَلِمُوا ... لا رَوَّحَ اللهُ عَن رَوْحِ بن زِنْبَاعِ

وقَالَ:

لا رَوَّحَ اللهُ عمَّن ليس يمنعنا ... مالٌ رَغِيبٌ وزوجٌ غيرُ مِمنَاعِ

---

(1) **الفراسن:** جمع فرسن، وهو للبعير كالحافر للدابة. **والذنابي:** الذنب. **والسنام:** أعلى البعير، والمراد: أترضى بالأنياء، ونحن أكفاء للأعلياء.

(2) **القيطور:** التافه الخسيس. **ونحلًا:** عطاء.

(3) **البضع:** موضع الجماع.

(4) **الخود:** الشَّابَّة الناعمة.

(5) **الوحي:** الإشارة. **والصُّم السلام:** الحجارة.

(6) **أوب:** جهة. **والغطاريف:** جمع غطريف، وهو السيد السَّخِي.

لسَلْفَع حَوْقَةُ نحْلٍ خَوَاصِرُهَا ... رتابة شَثنةُ الكَفَّيْنِ جُبَّاعُ[1]

وقَالَ له:

تُكَحِّلُ عَيْنَيْكَ بَرْد العَشى ... كَأَنَّكَ مُومِسَةٌ زَانِيَه[2]

وآية ذَلِك بعد الخُفُوقِ ... تُغلف رَأْسَكَ بالغَالِيَه[3]

وأَنَّ بَنِيكَ لِرَيبِ الزَّمَانِ ... أَمْسَتْ رِقَابُهُمْ حَالِيَه[4]

فلو كَانَ أَوْسٌ لهم شَاهِدًا ... لقَالَ لهم: إِنَّ ذَا مَالِيَهْ

قَالَ: وأوس رجل من جذام كانَ يقَالَ: إنه استودع رَوْحًا مالًا فلم يَرُدَّه عَلَيه، فقَالَ رَوْحٌ:

إِن يَكُنِ الخُلْعُ مِن بَالِكُم ... فليس الخَلَاعَةُ مِنْ بَالِيه[5]

وإن كَانَ مَنْ قَد مَضَى مثلَكُم ... فأفٍّ وتُفٍّ عَلَى الماضيه

وما إنْ بَرَا اللهُ فَاسْتَيْقِنِيهِ ... مِن ذَاتِ بَعْلٍ ولا جَارِيَه

شبيهًا بكَ اليومَ فيمن بَقِي ... ولا كَانَ فِي الأَعْصُرِ الخَالِيَه

---

(1) **السلفع:** السيئة الخُلق. الحوقة: العوجاء الكلام. **الرتابة:** الملتصقة الأصابع. **شثنة الكفين،** أي: خشنة الكفين. **والجباع:** القصيرة

(2) **برد العشى:** نوم آخر النهار.

(3) **الخفوق:** ذَهاب أكثر الليل. **والغالية:** أخلاط من الطِّيب؛ كالمِسك والعَنبر.

(4) **حالية،** أي: متحلية. والمراد: أنَّ رقابهم مطوقة من ريب الزمان.

(5) **الخلاعة والخُلع:** أن تختلع المرأة من زوجها، وذلك بأن يطلقها على أن يأخذ شيئًا منها.

فَبُعْـدًا لمِحْيـاكِ إذ مـا حَيِيـتِ ... وبُعْـدًا لِأَعْظُمِـكِ البَالِيَـه

قَالَ: وكان رَوْحٌ قَالَ لها- في بعض ما يَتنازعان فيه-: اللَّهُمَّ إن بَقِيَتْ بعدي فابتلها بِبَعْلٍ يلطم وجهَها ويملأُ حِجْرَهَا قيئًا، فتزوجها بعده الفيضُ بن مُحَمَّد بن الحكم بن أبي عقِيلَ، وكان شابًّا جميلًا يُصيب من الشَّرَاب، فَأَحَبَّتْهُ، فكان ربما أصاب من الشَّرَاب، فَسَكِرَ، فيلطمها ويقيءُ في حجرها، فتقول: رحم اللهُ أبا زُرعة لقد أجيب فيَّ. «أي: أجيب دُعَاؤُهُ»، وتقول:

سُـمِّيتَ فَيْضًـا ولا شـيءَ تفـيضُ بـه ... إلَّا بِجَعْـرِكَ بـين البـابِ والـدَّارِ[1]

فَتِلْـكَ دَعْـوَةُ رَوْحِ الخيـرِ أَعْرِفُهَـا ... سَقَى الإلهُ صَدَاهُ الأَوْطفَ السَّارِي[2]

وقَالَت لِفَيْضٍ:

أَلَا يَـا فـيضُ كنـتَ أَرَاكَ فَيْضًـا ... فـلا فَيْضًـا وَجَـدتُ ولا فُرَاتًـا[3]

وقَالَت أيضًا:

ولـيس فـيضٌ بِفَيَّـاضِ العطـاءِ لنـا ... لكـنَّ فَيْضًـا لنـا بالسَّـلْحِ فَيَّـاضُ[4]

لَيْثُ اللُّيُوثِ علينا باسِلٌ شَرِسٌ ... وفي الحروبِ هَيُوبُ الصَّدْرِ حَيَّاضُ[5]

---

(1) **الجَعْرُ:** ما يَبس في الدُّبر من العذِرة.

(2) **صداه:** أي: جسده بعد موته. **والأوطف:** المَطر المُنهمر.

(3) **الفيض،** معناه هنا: المطر. **والفرات:** نهر بالعراق.

(4) **السلح:** ما يخرج من ريح أو غائط.

(5) **حياض،** مِن حاضت المرأة: سال دمها.

قَالَ: فَوَلَدَتْ مِنَ الفَيْضِ بِنْتًا، فتزوجها الحَجَّاجُ بن يوسف، وكَانَت عِند الحَجَّاج قبلها أُمُّ أَبَان بنت النعمان بن بَشير، فقَالَت حميدة للحَجَّاج:

إذا تـــذكرتُ نِكَـــاحَ الحَجَّـــاجِ ... مـــن النَّهـــارِ أو مِـــنَ اللَّيْـــلِ الـــدَّاجِ[1]

فَاضَـتْ لَـهُ العَـيْنُ بِـدَمْعٍ ثَجَّـاجِ[2] ... واشـــتعلَ القَلْـــبُ بِوَجْـــدٍ وَهَّـــاجِ[3]

لـــو كـــانَ نُعْمَـــانُ قتيـــلَ الأَعْـــلَاجِ[4] ... مستوي الشخص صَحيح الأَوْدَاجِ(5)

لكنـــت منهـــا بمكـــان النَّسَّـــاجِ(6) ... قد كنتُ أَرْجُو بعضَ ما يَرْجُو الرَّاجِ

أَنْ تَنْكِحِيهِ فَمَلِكًا ذَا تَاجِ!

فَقَدِمَتْ حميدةُ عَلَى ابنتها زَائِرَةً، فقَالَ لها الحَجَّاجُ: يا حميدةُ، إني قد كنت أحتملُ مِزَاحَكِ مَرَّة، فأمَّا اليومَ فَلَا، وأنا عَلَى أهل العراق[7] - وهم قومُ سُوءٍ - فإيَّاكِ، فقَالَت: سَأَكُفُّ حتَّى أَرْحَلَ!»[8].

---

(1) **الليل الداجن**، أي: المظلم.

(2) ثجاج، أي: سَيَّال.

(3) وهَّاج، أي: مُتَوَقِّد.

(4) **الأعلاج**: الواحد من كُفَّار العَجم. والجمع: عُلُوجٌ، وأَعْلاج.

(5) **الأوداج**: عروق في العُنُق.

(6) **مكان النساج**: الصَّحيح من مكان النجوى، أي: السر. والمعنى: ما كانت منها بمكان الزوج.

(7) **وأنا على أهل العراق**، أي: أمير.

(8) ذكره أبو الفرج الأصبهاني في «الأغاني» (6/ 264).

ويقَال: إنَّ الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة- ويقَالُ بل خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة- كانَ تزوج حميدةَ هَذِه قبل رُوح بن زِنْبَاع، فقَالَت فيه:

نكحـــتُ المَـــدَنِيَّ إذ جـــاءني ... فيا لكِ مِنْ نكْحَةٍ غَاوِيَه

لـــه دَفـــرٌ كصـــنَانِ التُّيُـــوس ... أعيـا عَلَـى المِسْـكِ والغَالِيَـه[1]

كُهُـــولُ دِمْشَـــقٍ وشُـــبَّانُهَا ... أَحَـــبُّ إلـــيَّ مِـــنَ الجَالِيَـــه[2]

فقَالَ زوجُها مُجِيبًا لها:

أَسْـنَى ضـوءُ نَـارِ صُـحرة بالفقـ ... ـرة أبصـرت أم تَنَصَّـب بَـرْق[3]

أيـة مـا يكـن فقـد هـاجَ لِلْقَلْـبِ ... اشـــتياقًا وأنـــه غيـــر مُبْـــقِ

لسـنا بـين الحُجُـونِ إلَـى الحـرة ... في مغمـــرات ليـــل وشَـــرْقِ[4]

ســـاكنات العقيـــقِ أشـــهى ... إلَى القلب من ساكناتِ دُورِ دِمَشْقِ

يتضـــــوعن إذ تَمَخَّضْـــــنَ ... بالمسكِ صُنَانًا كأنه رِيحُ مَرْقِ[5]

---

(1) **دفر**، أي: نَتَن. **والغالية:** أخلاط من الطِّيب؛ كالمِسك والعَنبر.

(2) **الجالية**، أي: الغرباء الذين جَلُوا على أوطانهم.

(3) **تنصب**، أي: ترفع.

(4) **مغمرات**، مِن الغَمرة، وهي الشِّدَّة والمزدحم.

(5) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (70/ 74)، وذكره الأصبهاني في «الأغاني» (9/ 261).

ثم طَلَّقَهَا، فَتَزَوَّجَهَا روح.

قَالَ: **المَرْقُ:** صُوفُ الإِهَابِ إذا أُنتف.

والجالية: هم الَّذين أجلاهم عَبدُ الله بن الزُّبير من الحجاز من بني أُمية، وغيرهم من أشياعهم إلَى الشَّام.

قَالَ أبُو زيد: قَالَت بنت عَبد الله بن عتاب من عنزة لزوجها رجاء بن خيثمة بن عتاب:

الحمـــدُ لله الَّـــذي أَهَانَكَـــا وجعـل الـذريحَ[1] مِـنْ أَخْـدَانِكَا
ببلدةٍ تَبلى بها أَكْفَانكَا

فقَالَ يجيبها:

قـــد جَعَلتنِـــي وذريحًـــا نِـــدَّيْن وهـــي عجـــوزٌ لا تســـاوي فَلْسَـــيْن
مُحْتَـرِقَيْن مـن نحـاس نَحْتَـيْن[2] كســـلعة الســـوءِ تُبَـــاعُ في الـــدَّيْن

فقَالَت:

تَرَكْتَنِـــي ببلـــدٍ طَمُـــوس[3] لـــيس بِهَـــاجِنٍ ولَا أَنِـــيسِ

---

(1) **الذريح:** حشرات صغيرة حمراء مُنقطة بسواد.

(2) **نحتين،** مِن نَحَتَه، أي: قَشَره وبَرَاه بُغية إعطاء شكل معين.

(3) **طموس،** مِن طَمَس، أي: انمحى، أو من الطامس، أي: البعيد.

إلا بقايا الحيضِ والحليس[1] يا لَيْتَهُ في حُفْرَةٍ مرمُوسِ[2]

وقَالَ: كَانَت تحت رجل من أزيم بن ثعلبة بن يربوع، يقَالَ له: أبُو مرحب، بنت عمٍ له، فقَالَت:

يَمُوتُ الرجالُ الصالحونَ ولا أبا مرحبٍ إلا شَدِيدَ الجَوَانِح[3]

أطعن فلا يعصين أمري فلا يروا إذا رجعوا إلا ديارَ الجَوَامِح[4]

فإني سَاهِدٌ يكن في كُلِّ سَبْسَب تهادي به أيدي القلاص الطلائح[5]

فقَالَ أبُو مرحب مجيبًا لها:

لَعَمْرِي لقد غاليتُها فاشتريتُها وما كُلُّ مبتاعٍ من النَّاس رابحُ

رأيت لها أنفًا قبيحًا يشينها وعلباء سوءٍ لم تزِنْهُ المَسَائِحُ[6]

وقَالَت هند بنت عصم السدوسية- وكَانَت عِند ربيعة بن غزالة الكندي- لامرأة أبيها يزيد بن ربيعة بن غزالة:

---

(1) **الحيض:** الأموات. **والحليس:** كساءٌ يُوضع على ظَهر البعير، والمراد: بقايا الرحال.

(2) **مرموس**، أي: مدفون.

(3) **الجوانح:** الضُّلوع.

(4) **الجوامح**، مِن جَمحت المرأة زَوجها: إذا خرجت من بيته قبل أن يُطَلِّقها.

(5) **السبسب:** المفازة. والقلاص: جمع قلوص، وهي الفَتِيَّة من الإبل. **والطلائح:** مِن طَلحت الناقةُ، أي: أَعيت.

(6) **العلباء:** عَصب عُنُق البَعير، وهو استعارة للمرأة تبشيعًا لخِلقتها. **والمسائح:** جمع مسح، وهي القطعة من الفِضَّة، والمراد: الحُلي التي تتزين به النساء.

أيزيـــدُ قـــد لاقيـــتَ مُنْكَـــرَةً[1] عجلـــت بأُمِّـــكَ مـــدخل القـــبر
هَوْجَـــاء جَاهِلَـــة إذا نَطَقَـــتْ ليســـت كِعابًـــا بَضَّـــة الخِـــدْرِ[2]
ســـوداء مـــا تَنْفَـــكُّ متأفـــة مَـــلأى مضـــببة عَلَـــى غمـــر[3]
مـــا كـــانَ جَـــدُّك في النِّسَـــاء بـــذي فـــرع عشـــية طيرهـــا يجـــري[4]
ضَـــنَّتْ عليـــكَ فـــنعم ذو قـــدر الـــرَّحمن والمحمـــود للأمـــر

وقَالَت أم الأسود الكلابية تهجو زوجها:

سَـأَنْذِرُ بعـدي كُـلَّ بَيْضَـاءَ حُـرَّةً مُنَعَّمَـــة خـــودٍ كـــريم نجارهـــا[5]
قَصِير قبـال النَّعْـلِ يضـحي وهَمُّـه قريـب ويمسي حيث يعشيه نارُهـا[6]
إذا قَـالَ: قـد أشـبعتِني بـات راضـيًا لـه شـملةٌ بَيْضَـاءُ ضـاق حِمَارُهَـا[7]
يـرى الطِّيـبَ عَـارًا أن يَمَـسَّ ثيابَـه أو المسـكَ يَوْمًـا إن عـلاه صـوارُها[8]

---

(1) **منكرة،** أي: داهية.

(2) **هوجاء،** أي: طويلة حمقاء. **والكعاب:** من نَهد ثديُها. **بضة الخدر:** رقيقة الجِلد المُمتلئة.

(3) **متأفة:** سريعة الغضب. **مضببة على غمر:** محتوية على حِقد.

(4) **جدك،** أي: حَظُّك. **طيرها،** الطير: ما يُتفائل به.

(5) **الخود،** أي: شابة ناعمة الخَلق. **كريم نجارها،** أي: كريمة الأصل.

(6) **قبال النعل:** زمام فيه. والمراد: أنها تُحذر من الضَّعيف الخِلقة والهمة، وأشارت إلى ذلك بصغر قدمه، وعدم بُعد هِمَّتِه.

(7) **الشملة:** ما يُلتف به.

(8) **الصوار:** القليل من المسك، أو الرائحة الطيبة.

obeikandl.com

ولكنه من رطب أخشاء صُنَانه ... إذا أمرعت بِالكَفِّ منه ديارُها[1]

وطيرٍ بذيال يرى الليل مَتْنَهُ ... لناقته حتَّى يَحين اذْكِرَارُهَا[2]

بعيد المدى يقضي الكَرَى فَوْقَ ... إذا القوم بالموماة[3] حار شِرَارُهَا

لَعَمْرُ أبي ما خار لي أن يبيعني ... بأبعرة إذا قَحمَتْهُ عشارُها[4]

فوالله لولا النارُ أو أن يرى أبي ... له قَودًا أو أن ينالني عارُها[5]

لقد نَازَعَتْ كَفِّي المُهَنَّدَ ضَرْبَةً ... وكان عَلَيه خبلُها[6] وشَنَارُها

قَالَ أبُو زيد: قَالَت حميدة[7] لروح بن زِنباع: «إنَّ فيك لأربع خصال ما يَسُودُ عَلَيهن أحدٌ.

---

(1) **أخشاء:** جمع خشى، من خشى، أي: رمى بأذى بطنه. **وأمرعت:** أخصبت. **والكف:** بَقلة الحمقاء.

(2) طير، مِن طَير الفحلُ الإبلَ ألحقها. **ذيال:** طويل الذَّيل والقَد مُتبختر في مِشيته. **والمتن:** النكاح. اذكرارها: من أذكرت ولدت ذَكرًا.

(3) **الموماة:** الفَلاة لا ماء فيها.

(4) **الأبعرة:** جمع بعير، ويُطلق على الأنثى. **قحمته:** ثَنَّى ورَبَّع في سنته، فيُقحم سِنًّا على سِنٍّ.

(5) **القَود:** القصاص، أو قتل القاتل.

(6) **خبلها:** فسادها.

والمعنى: أنَّ أُمَّ الأسود لا ترى حَلًّا لهذا الزوج لكثرة مثالبه إلا أن تقتله بالسَّيف، ولا يمنعها من هذه الفعلة إلا أن تترك عارًا أو ثأرًا لأبيه، ولذلك حَذَّرت النساء من مثل هذا الرَّجل.

(7) هي: حميدة بنت النعمان بن بشير؛ أم محمد الأنصارية، سكنت دمشق، ويقال حُميدة بالضم، لها ترجمة مُوسعة في «تاريخ دمشق» لابن عساكر (69/ 98).

obeikandl.com

قَالَ: وما هي لا أَبَا لَكِ؟ فوالله إنَّ الخَصلة الواحدة لَتُفْسِدُ الرجلَ السَّيِّد!

قَالَت: أمَّا الواحدة فإنك من جُذَامٍ، وأمَّا الثانية فإنَّك جَبَانٌ، وأما الثالثة فإنك غَيُورٌ، وأمَّا الرَّابعة فإنك بخيلٌ.

قَالَ رُوحٌ: أمَّا قولكِ: إني من جذام. فَحَسْبُ المرءِ أن يكون من صالحِ مَنْ هو منه. (أي: من صالح قومه).

وأما قولكِ: إني جبانٌ. فإنَّ ما لِي إلا نفسٌ واحدة، ولو كانَ لي نفسان جُدتُ بأحديهما.

وأما قولكِ: إني غَيور. فوالله إني لجديرٌ بالغَيْرة عَلَى الورهاء[1] اللئيمة مثلك.

وأما قولكِ: إني بخيلٌ. فوالله ما في مالي فَضْلٌ عَن قومي، ولكنِ اذهبي فأنتِ طالق»[2].

وقَالَ أبُو هلال بن مالك بن حسان بن قتادة بن حليلة بن حسَّان بن حسان بن النعمان في ابنةِ عَمِّهِ:

يـا رُبَّ شـمطاء المَفـارِق حَـربش ... صَـمَّاء لـيس لِقَلْبِهَـا أُذُنَـانِ[3]

---

(1) **الورهاء:** الحمقاء.

(2) انظر «العقد الفريد» لابن عبد ربه (7/ 124).

(3) **الشمطاء:** الشيباء. والمَفَارق: جمع المفرق، وهو وسط الرأس الذي يُفرق فيه الشعر. =

تلـك التـي لـو أننـي خُيِّرْتُهَـا ... أو حَيَّـةٌ هَمَّـازَةُ الأَسْـنَانِ[1]

لاخترتُهـا بـدلًا بهـا وغزلتُهـا ... وصدرت ذا جذلٍ مع الرعيان[2]

فقَالَت:

يـا رُبَّ شَـيْخٍ قـد تَـوَلَّى خيـرُه ... ذرب اللِّسَـانِ كأنـه ظربـان[3]

يرجـو الشبابَ وقـد تَحَنَّى ظهـرُه ... وعفـاه بعـد منامـه الـذبان[4]

ذاك الَّـذي لـو أننـي خيرتُـه ... لـم أرتضـيه بكلبِنَـا ذكـوان

وقَالَ المدائني: طَلَّقَ رَجُلٌ امرأتَه، فتزوجت مُحَلِّلًا، فلما صارت إليه أبى أن يُطَلِّقها، فقَالَت في الأول:

قصارك مِنِّي النُّصْحُ ما دمتُ حَيَّةً ... وود كماءِ المُزْنِ غير مشوب[5]

وآخرُ شيءٍ أنتَ في كُلِّ هَجْعَةٍ ... وأول شيءٍ أَنْتَ عِند هُبُوبِي[6][7]

=

والحربش: الحقودة. **وصماء:** على قلبها رينٌ فهو جمادٌ لا يُحس.

(1) **همازة:** عضاضة.

(2) **الجذل:** السرور.

(3) **ذرب اللسان**، أي: حديدة. **الظربان:** دويبة، كالهرة منتنة.

(4) **عفاه:** غَطَّاه.

(5) **قصارك:** غايتك. **والمزن:** السحاب. **ومشوب:** مخلط.

(6) أي: أنها تتذكره عند نومها ليلًا، وعند قيامها من النَّوم صباحًا.

(7) ذكره ابن عطية الأندلسي في «المحرر الوجيز» (4/ 544)، وابن القيم في «روضة المحبين»

=

obeikandl.com

وقَالَت في الآخر:

لمن بَكْرَة مَطروفة العينِ نازع ... معذبة في حبل راع يُهينُهَا[1]

وأنشد إسحاق بن إبراهيم الموصلي لأم ظبية، في ابنة عمٍ لها، يقَالَ لها: أم جحدر، زوجتِ ابنةً لها برجلٍ قَبِيحِ المَنْظَرِ:

لقد دَلَّسَ الخُطَّابُ يا أمَّ جَحدر ... لكم في سواد الليل إحدى العظائم[2]

ألم تنظري حُيِّيت يا أُمَّ جَحدر ... إلَى وجهه أو حَدْرة في القوائم[3]

قَالَ: ونَظَرَتْ إلَى الرجل، فقَالَت: قَبَّحَ اللهُ الطَّلْعَةَ، ثمَّ قَالَت:

وَإِنَّ أُنَاسًا زَوَّجُوكَ فَتَاتَهُمْ ... لجِدُّ حِرَاص أن يكون لها بَعْلُ

المدائني قَالَ: قَالَ سليمانُ بن عبد المَلِك لجاريةٍ له- ونظر في المرآة فأعجبه حُسْنُه- كيف تَريني؟ فقَالَت:

أنت نِعْمَ المتاعِ لو كُنْتَ تَبْقَى ... غير أن لا بقاء للإنسان

أنت خُلْوٌ من العيوب ومما ... يكره النَّاس غير أَنَّكَ فَانِي[4]

=

(1/ 265)، ومعلومٌ أنَّ زواج المُحلل باطل، وفاعله ملعون.

(1) **البكرة:** الفَتِيَّة مِن الإبل، تُشَبِّه نفسَها بذلك. **نازع**، أي: حَنَّت إلى أوطانها.

(2) **دلس**: كتم.

(3) **تحدره**، مِن التَّحدُّر، وهو الحطُّ من عُلو إلى أسفل، تعني: اضطرب في مِشيته، أو من الحدر وهو الورم في الجلد.

(4) أخرجه الطبري في «تاريخه» (4/ 58)، والبيهقي في «الزُّهد الكبير» (1/ 233).

حَدَّثَنِي سعيد بن حميد بن سعيد بن بحر الكاتب، قَالَ: كنا عِند نيران جارية ابن الطبطي النَّحاس، ومعنا أَبُو هفان عَبد الله بن أَحمد، فأخذْنا في وصف أخلاقه وجميل مذهبه، فقلتُ لها: باللهِ! أيسركِ أن أبا هفان مولاكِ عَلَى سِنِّهِ وسماحتِه وجميلِ أخلاقه؟ فقَالَت: عفوُ الله عَزَّوَجَلَّ أوسعُ من ذَلِك، واللهِ ما هو إلا كما قَالَ في نفسه:

فلو بكَ كانَ اللهُ عَذَّبَ خلقه ... لتابوا ولَكِنَّ رحمةَ اللهِ أَوْسَعُ

الأصمعي قَالَ: «طَلَّقَ أعرابيٌّ امرأتَه- وكَانَت من بني عَامِرٍ- فقَالَت له: إنك- ما علمتُ- لضيقُ الفناءِ، صغيرُ الإناء، قبيحُ الثناء، قَالَ: وأنتِ-واللهِ ما علمتُ- إن كنتِ لواهيةَ العِقْدِ، قليلةَ الرِّفدِ[1]، مجانبةً للرُّشْدِ، قَالَت: وأنتَ- واللهِ- إن كنتَ لصارعَ السَّيفِ في البلاء[2]، ضائعَ الضَّيْفِ في الكلاءِ، منتهجًا لِلُّؤمِ في الملاء، قَالَ: وأنتِ- واللهِ- لطويلةُ اللسان، مؤذيةٌ للجيران، عاريةُ المكان، قَالَت: وأنتَ- واللهِ- إن كنتَ للئيمَ الصحوةِ، فاحش العدوة بين الكَبْوَةِ، فاترَ النَّزْوَةِ[3]، قَالَ: مه[4]! لا تفحشي فأفحش، ولا تسفلي فأسفل،

---

(1) **الرفد:** الصلة.

(2) **صارع**، بمعنى: مصروع. **والبلاء** هنا: الحرب.

(3) **النزوة:** النزوع نحو الشيء من غير تَعَقُّل.

(4) **مه:** اسم فِعل أَمَر بمعنى: اكففي واسكتي.

قَالَت: ما أَبْقَيْنَا أَكْثَرَ مِنْ هَذَا، قَالَ: إذن اسكتي، فلا أنطق»[1].

حَدَّثَنَا أبُو زيد، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحمد بن معاوية بن بكر، قَالَ: قَالَ الأصمعي: «كَتَبَت امرأةٌ إلَى أبيها- وكان زَوَّجَهَا بغير إذنها:

أيـــا أَبَتَـــا عنيتَنـــي وابتليتَنـــي ... وصيرتَ نفسي في يَدَيْ من يُهِينُهَا

أيـا أَبَتَـا لـو لا التَّحَـرُّجُ قَـدْ دَعَـا ... عليـكَ مُجَابًـا دَعْـوَةً يَسْـتَدِينُهَا[2]

وقَالَ أبُو زيد: «رأى عبدُ الملك بن مروان امرأةً من قريش تحت رجلٍ لم يَرضه لها، فسألها عَن ذَلِك، فقَالَت:

إن القُبـــورَ تُـــنْكِح الأَيَـــامى ... النِّســـوةَ الأرامـــلَ اليَتـــامى

والمرءُ لا يبقى له سُلَامى»[3]

قَالَ: كانَ رجلٌ ممن قعد عَن الخوارج يُدعى مُجَاشِعًا من بكر بن وائل، له زوجة تُدعى عميرة ترى رأيَه، ثمَّ أفسدها رجلٌ حتَّى رأت رأيَ الخوارج، فَدَعَت زوجَها إلَى ذَلِك، فأبى، وأبت إلا أن تخرج، فخرجت، فكتب إليها زوجُها:

وَجْـدًا يصـاحبُني لَعَـلَّ صَـبَابَةً[4] ... منهـــا تَـــرُدُّ خَلِيلَـــةً لِخَلِيـــلِ

---

(1) انظر «محاضرات الأدباء» للراغب الأصفهاني (2/ 240).

(2) **التحرج:** التأثم.

(3) **الأيامى:** جمع أيم، وهي التي لا زَوج لها. وسلامى: أي: سلامة.

(4) **وجدًا**، الوجد: حرارة الحب. **والصبابة:** رقة الشوق.

فلـــئن قُتِلْـــتُ لَيُقْـــتَلَنَّ قَتِـــيلُكُمْ فَتيَقَّنِـــــي أني قتيـــــلُ قتيـــــل [1]

فقَالَت تجيبه:

أَبْلِـغْ مُجَاشِـعَ إن رجعـت فـإنني بـين الأَسِـنَّةِ والسـيوف مقِيلَـي [2]

أَرْجُـو السَّـعَادَةَ لا أُحَـدِّث سـاعة نَفْسِـي إذا أنـا أَجَبْتُهَـا بقُفُـولِ [3]

وَوَهَبْتُ خِـدْرِي والفراشَ لِكَاعِـبٍ فِي الحَـيِّ ذات دمـالج وحُجُـولِ [4]

المدائني قَالَ: «كَانَت حمزةُ [5] - امرأة عِمران بن حِطَّان الحَرُوري - جميلةً فائقةَ الجمال، وكان دَمِيمًا [6] شديدَ الدَّمَامَةِ، فقَالَت له يومًا: إنَّا لعلى خيرٍ إن شاء الله! أُعطيتَ مِثلي فَشَكَرْتَ، وابتليتُ بكَ فصبرتُ! فقَالَ عمران: مِثلي ومِثلك ما قَالَ الأحوص:

إِنَّ الحُسَـــامَ وَإِنْ رَثَّـــت مَضـــارِبه إذا ضُـــرِبَتْ بـــه مَكْرُوهَـــةٌ قَـــتَلَا [7]

---

(1) المعنى: إن قُتِلتِ في الحرب وأنت مع الخوارج، فإني سأموتُ حُزنًا عليكِ، فأكون قتيلَ قتيلٍ.

(2) **مقيلي**، أي: إقامتي.

(3) **بقفول**، أي: برجوع.

(4) **الخدر**: الستر للمرأة. والكاعب: مَن كَعب ثديُها، ونهد، فهي ناهد. **والدَّمالج**: الأساور؛ حُلي اليَد. والحجول: حُلي الرِّجْل

(5) كذا في «تهذيب الكمال» للمِزي (22/ 324)، وفي «تاريخ دمشق» لابن عساكر (43/ 491): «خمرة».

(6) **دميمًا**، أي: قبيح الخِلقة.

(7) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (43/491)، وانظر «تهذيب الكمال» (22/324).

أَحمد بن معاوية بن بكر، عَن الأصمعي، قَالَ: قَالَ أَبُو الجنيد الأعرابي: رأيتُ بطريقِ مَكَّةَ أعرابيةً تبيع الحُرُض[1] لم أرَ قَطُّ أجملَ منها، فوقفت أنظر إليها مُتعجبًا من جمالها[2]! إذ أقبل شيخٌ قصير، فأخذ بأُذُنِهَا، فَسَارَّهَا، فقلت من هَذَا؟ قَالَت: زوجي، قلت: كيف رضي مثلُكِ مثلَه؟ قَالَت: إن لي قِصَّةً، ثمَّ قَالَت:

أَيَا عَجَبِي لِلخودِ يجري وِشَاحُهَا ... تُزَفُّ إِلَى شيخ من القوم تنْبَالِ[3]
دَعَاهَا إِلَيْهِ أَنَّهُ ذُو قَرَابَةٍ ... فَوَيْلُ الغَوَانِي مِنْ بَنِي العَمِّ والخَالِ

وقَالَت هِنْدُ بنت عصم السدوسية- وكَانَت عِند ربيعة بن غزالة الكندي، وكان عِنِّينًا، تشتاقُ بلادَها-:

أَلَا أَرَى مَاءَ الصُّبْحِ شَافِيًا ... نفوسًا إِلَى أَمْوَاهِ بقعاء نزعًا[4]
فَمَنْ جَاءَ مِنْ مَاءِ الشبَالِ بَشَرْبَةٍ ... فَإِنَّ له من ماء لينةٍ أَرْبَعًا[5]
وقد زادني وَجْدًا ببقعاءَ أننا ... رأينا مطايانا بلينة ظلعًا[6]

---

(1) **الحُرُض:** الأُشنان. وهو نَبات كان يُستعمل قديمًا في تنظيف الثياب.

(2) ونظره إليها لا يجوز قطعًا؛ قال الله عز وجل: {قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم} .

(3) **تنبال**، أي: قصير.

(4) **أمواه:** جمع مياه. **بقعاء:** اسم موضع، وهي اسم قرية من قرى اليمامة. **ونُزَّعًا**، أي: مشتاقة.

(5) **الشبال:** اسم مكان. **ولينة:** اسم مكان.

(6) **ظلعًا:** أي: مقيمة.

قَالَ رَجُلٌ يُرَقِّصُ ابْنَهُ ويُعَرِّضُ بِزَوْجَتِهِ:

وُهِبْتُـهُ مِـنْ ذات ضِـغْنٍ خبَّـة[1] قَصِـيرَةِ الأعضـاءِ مثـل الضَّـبَّة

فقَالَت:

وُهِبْتُـهُ مـن مـرعشٍ مـن الكـبر شَـرَنْفَح وَرِيـدِهِ مِثـل الـوَتَر[2]

بِئْسَ الفَتَى في أَهْلِهِ وفي الحَضَر

وقَالَت امرأةٌ رَقَّصَتِ ابْنَهَا وعَرَّضَتْ بِزَوْجِهَا:

وُهِبْتُـهُ مِـنْ ذِي ثِفَـالٍ خـبٍّ[3] يُقَلِّـبُ عَيْنًـا مثـل عَـيْنِ الضَّـبِّ

لَيْسَ بِمَعْشُوقٍ ولا مُحَبِّ

فقَالَ زوجُها:

وُهِبْتُـه مـن سَـلْفَعٍ أَفُـوكِ سُـرحٍ إِلَـى جارتهـا ضَـحُوكِ

ومـن هِبَـلٍّ قـد عسـا حَنِيـك[4] أشهب ذي رأسٍ كرأسِ الدِّيكِ[5]

وقَالَ قيس بن عاصم ينزي[1] ابنًا له، وأُمُّه منفوسةُ بنت زيد الخيل[2]

---

(1) ضغن خبة، أي: مُفسدة لئيمة.

(2) الشَّرنفح: هو الرَّجل الخَفيفُ القَدَمَيْنِ. **والوريد**: عِرق في العنق. **والوَتَرُ**: الَّذِي خَلْفَ الكَعْبَين بَيْنَ مَفْصِل القَدَم والسَّاق مِنْ ذَوات الأُرْبع، وَهُوَ مِنَ الإِنْسَانِ فُوَيْقَ العَقِب.

(3) **الثفال**: البُطء. **والخب**: المُفسد اللئيم.

(4) **أفوك**: كذوب. وهبل: أي، ضخمة مُسِنَّة. **وحنيك**: مجربة لحوادث الأيام.

(5) تريد بقولها: «أشهب»: أنَّه شيخٌ وشَعر جَسده أبيض وأنَّ لحيته حمراء.

جالسة تسمع:

أَشْــبِهَ أبــا أُمِّــك أو أَشْــبِه عَمَــل وارْقَ إلَـى الخيـرات زَنَـأ في الجَبَـل
ولا تَكُونَنَّ كَهِلَّوفٍ وَكَلْ [3]

فقَالَت منفوسةٌ:

أَشْبِه أخي أو أَشْبِهَنَّ أَباكا أَمَّا أَبِي فَلَنْ تَنَالَ ذَاكَا
تَقصر أن تَنَالَهُ يَدَاكَا[4]

أَحمد بن معاوية بن بكر، عَن الأصمعي، قَالَ: اتَّهَم أعرابيٌّ امرأتَه- وجاءت بولده أبيض- وكان بنوه سُودًا، فقَالَ:

لتقعدِنَّ مَقعدَ القَصِيِّ من ذوي القاذورة المقلِيِّ
أو تحلفي بِرَبِّكِ العَلِي أني أَبُو ذيالِك الصَّبِي
قد رابني ببصرٍ رَخِيٍّ ومُقْلَة كمُقْلَة الكركي [5]

قَالَت: فقامت تُمَشِّط رأسَه، فقَالَ:

=

(1) **ينزي:** يَثِب.

(2) لها ذِكر في «تاريخ دمشق» (16/ 421)، و«تهذيب الأسماء» (1/ 1143).

(3) **الهلوف:** الثقيل الجافي. الوكل: المُستسلم الجافي.

(4) ذكر الأصفهاني قصةً مُشابهة لهما في «الأغاني» (14/ 72).

(5) **القصي:** المُبعد. **المقلي:** المَكروه. **ذيّالك:** تَصغير ذلك. **الكركي:** طائر.

obeikandl.com

لا تُمَشِّطِي رَأْسِي ولا تَفْلِيني ما باله أَحْمَرُ كَالهَجِينِ
ليس كَأَلْوَانِ بني الجُونِ[1]

فَرَدَّتْ عَلَيه، فقَالَت:

إِنَّ لـــه مـــن قِبَلـــي أجـــدادًا بِـيضَ الوجـــوه ســادةً أنجـادًا
مـا ضَـرَّهُمْ يـوم لقـوا عِبَـادًا أن لا يكـــون لَـــوْنُهُم سَـــوَادًا

وقَالَ أعرابيٌّ رَقَّصَ ابنه، وعَرَّضَ بامرأته:

وُهِبْتـــه مـــن أَمَـــةٍ ســـوداء لـيسـت بِحَسْـنَاء ولا جَمْـلَاء
كأنها خِلْفَةُ خُنْفسَاء

فقَالَت امرأتُه:

وُهِبْتُـه مـن أَشْـمَطِ المَفَـارِق[2] لـيس بمعشـوقٍ ولا بعاشـق
وليس إن فارقني بِنَافِق[3]

قَالَ: قَالَت امرأةٌ ضربَها زوجُها، فقِيلَ لها: لِمَ ضَرَبَكِ؟ فقَالَت: طلب

---

(1) **الهجين:** مَن أُمُّه عربية دون أبيه. **والجون:** السُّود.

(2) **أشمط:** أشيب. **والمفارق:** جمع المفرق، وهو شعر وسط الرأس حيث يفترق الرأس.

(3) **بنافق:** مِن نَفَقَ المَتاع، إذا راج وكَثُر طُلَّابه. والمعنى: إن فارقها لا يجد مَن يَتزوجها لقلة الرَّغبة فيه.

عندي ما لم يحلفه، فضربني حتَّى ألثقني[1] بالدم، ولقد هجوتُه، فقلتُ:

فأنـــت الـــداءُ لـــيس لـــه دواء ... وأنـت الفَقْـرُ لـيس لـه انْجِبَـارُ[2]
ولو مصت النضـار تَمُـجُّ مِسْـكًا[3] ... لخَبُـثَ المِسْـكُ بعـدَك والنضـارُ

أنشدني حماد، عَن أَبيهِ، قَالَ: أنشدَني إدريس بن أبي حفصة لجارية له بدوية، -يقَالَ لها: جمل- تهجوه:

يـا جَمَـلُ لـو كنـتِ عِنـد الله مَسـلمة ... لمـا ابتليـتِ بشـيخٍ مثـلِ إدريـس
لمـا ابتليـتِ بشـيخٍ لا حِـرَاك بـه ... أبقـى لـكِ الـدهرُ منـه شَـرَّ مَلْبُـوسِ
يلقـاكِ منـه الَّـذي تَهْـوِينَ رُؤْيَتَـهُ ... عِنـد اللقـاء بِإِدْبَـارٍ وتَنْكِـيسِ
أَمْسَـى وأصـبح ممـا لا يَبُـوحُ بـه ... ممـا تُحِبِّـينَ رَأْسًـا فِي المَفَـالِيسِ

إسحاق قَالَ: قَالَ ربيعة بن رميح: أخبرني شيخٌ من أهل الحجاز أنه حضر رجلًا من الأعراب وامرأتَهُ، قد حَكَّمَا بينهما حَكَمَيْنِ بعد تطاولٍ من الشَّرِّ، فحَكَمَ بِفُرْقَتِهِمَا، فقَالَت لزوجها- فيما تقول-: أما واللهِ إن كنتَ بخيلًا عَلَى ما ملكتَ، مُقْتِرًا إذا أنفقتَ، مَنَّانًا إذا وهبتَ، تفلًا[4] إذا باشرتَ.

فقَالَ زوجُها: وأنتِ- واللهِ- إن كنتِ لَظَاهِرَةَ الكَسَلِ، مَيْتَاءَ العمل،

---

(1) ألثقني: بَلَّلني.

(2) **انجبار:** من جبر الفقير، إذا أحسن إليه وأغناه.

(3) **النضار:** الذهب.

(4) **تَفِلًا:** متغير الرائحه.

كريهةَ المقبل، شَخْتَة المُخَلْخَل[1]».

قَالَ إسحاق الموصلي: أنشدني بعضُ الأعراب لامرأةٍ تَذُمُّ زوجَها:

إِنِّي نَدِمْتُ عَلَى ما كانَ من عجبي ... وأَقْصَرَ الدَّهْرُ عني أَيَّ إقصارِ

فليتني يوم قَالُوا: أنتِ زوجتُه ... أصابني ذُو نُيُوبٍ سُمُّه ضَارِي

يا رَبِّ إن كانَ في الجَنَّاتِ مُدْخَلُه ... فَاجعَلْ أُميمةَ رَبَّ النَّاس في النَّارِ

قَالَ الأصمعي: كانَ شيخٌ من بني سَعْد باليمامة ذَا مَالٍ، فجمع بين أربع نسوة، وكان تَفِلًا مُفْرَكًا، فَفركَتْهُ جُمَع[2]، وأصلح بينهن بُغْضُه، فَرَصَدَهُنَّ ذاتَ لَيْلَةٍ، وهُنَّ يَتَحَدَّثْنَ ويَذْكُرْنَهُ، فقَالَت إحداهن:

قُلْنَ جميعًا في فُنونِ عَيْبِهِ ... وغَيْبِه لا مَأْثَمَ في غَيْبِه

قَالَت الثانية:

أَقْمَرَ عيني ببياض شيبه ... وشَفَّ جسمي طول شَمِّ جَيْبِه[3]

قَالَت الثالثة:

اللؤمُ والخيبةُ حَشْوُ ثوبه ... فبي حَلَّ الموتُ صُبْحًا أَوْ بِهِ

فقَالَت الرابعة:

---

(1) **شختة المخلل**: أي: ضامرة موضع الخلخال.

(2) أي: أبغضنه كلهن.

(3) **أقمر عيني**: تحير بصره، وشَفَّ: أي: نَحل، الجيب: طوق القميص.

يـا ليـت مـا ينـالني مـن سَـيْبِه[1] تطليقـــةٌ تخـــرج مـــن قلبِـــه

فأصبح، فَطَلَّقَهُنَّ جميعًا.

«المدائني» قَالَ: «لما زُفَّت ابنةُ عَبد الله بن جعفر- وكَانَت هاشميَّة جليلة- إلَى الحَجَّاج بن يوسف، ونظر إليها في تلك الليلة، وعَبْرَتُهَا تجولُ في خَدَّيْهَا، فقَالَ لها: بأبي أنتِ وأمي، مِمَّا تبكين؟ قَالَت: مِنْ شَرَفٍ اتَّضَع، ومن ضعَةٍ شَرُفَتْ».

وقَالَ المَدَائني: «قَالَ الحَجَّاج لابنة عَبدِ الله: إنَّ أمير المُؤمِنِينَ عبد المَلِك كتبَ إليَّ بطلاقِك، فقَالَت: هو- واللهِ- أَبَرُّ بي ممن زَوَّجنيك!»[2].

حَدَّثَنَا عَبد الله بن شبيب، قَالَ: حَدَّثَنِي الزُّبير بن بَكَّار، قَالَ: حَدَّثَنِي أيوبُ بن سلمة، قَالَ: تَزَوَّجَتْ عصيمةُ بنت زيد النهدية رجلًا من قومها يُكنى أبا السميدع، واسمه سعيد بن سالم، فَأَبْغَضَتْهُ بُغْضًا شديدًا، فَتَأَذَّتْهُ، فَلِيمَتْ في ذَلِك، فقَالَت:

يقولـون: لَـمْ تَأْخُـذْ عصـيمَةُ مَهْرَهـا كـأنَّ الَّـذي يلحـى عصـيمة لاعـبُ
ولو مارسوا ما كنتُ فيه لأحرجوا ورائي ولم يطلب إلَى المهر طالـبُ
كـأن ريـاحًـا مـن سـعيد بـن سـالم رياح طبة بَالَتْ عَلَيها الثعالبُ[3]

---

(1) **سيبه:** أي: عطاؤه.

(2) انظر «أنساب الأشراف» للبلاذري (3/ 45).

(3) **طبة:** أي: ثوب، أو جلد.

فـإن انفلـتُّ منـه فـإني حَبِيسَـةٌ ... طـوال الليـالي مـا دعـا الله راغـبُ

أنشدنا أبُو محلم الأعرابي لامرأةٍ في زوجها تَذُمُّهُ:

مـن عـذيري مِـنْ بَعْـلِ سُـوء ... يـراني وأراهُ بِـأَعْيُنِ البغضـاءِ
تتهـادى منـا الضـمائرُ وَحْيًـا ... بقلـى يسـتكنُّ في الأحشـاءِ
غـاض مكنـون مـا عَلَيـه احتوينـا ... في قلـوب إلَـى الفـراقِ ظمـاء
نَتَنَـاثى حَـدِيث إثـرٍ وعـينٍ ... بـائن أنسـه عَـن الأهـواء[1]
فَكِلَانَـا عَلَـى أسـى الـبُغْضِ مُبـدٍ ... كـاذب الـود مـن لسـانِ رِيَـاءِ
رجـل لـو تخـبر اللـؤمُ لُؤْمًـا ... كـانَ أو زائـدًا ولـي اللـواء
ملء عين من الفواحش كاسي الـ ... ـوجه مـن سـوءةٍ سـليب حَيَـاءِ
يـا لقـومي داء عيـاء فَـأَنَّى ... لـي اقتـدار بحمـل داء عيـاء
ليـت لـي حيـة ببعلـي صـما ... ء وأحبـب بالحيـة الصـماء
إن بـدت كـانَ دونهـا لـي حجـاب ... من حفيف الغراق أو من رقاء[2]
أيـن أيـن الحمـام أيـن لقـد أحـ ... ـرزه منـه اليـوم واقـي القضـاء

إسحاق إبراهيم الموصلي، عَن أبي عبيدة، قَالَ: كَانَت أُمُّ شبيب بنت قيس بن الهيثم السُّلمي عِند جارية بن بدر الغداني، ثمَّ حلف عَلَيها بِشْرُ بن شفاف،

---

(1) **نتنائى:** أي: نتحدث، ونشيع.

(2) **الغراق:** نَوع من الفِطريات، يسمى الغاريقون، يَضُمُّ أنواعًا صالحة للأكل وأُخرى سامة، والرقاء: من التِّرْيَاقُ: دواء السَّموم. وهو فارسي معرب.

فقَالَت:

بُـدِّلْتُ بِشْـرًا بـلاء أو معاقبـة ... مِـنْ فَـارِسٍ كـانَ قـدمًا غيـر غـوار

فَلَيْتَنِـي قَبْـلَ بشـرٍ كـانَ ضـاجعني ... داع إلَـى الله أو داع إلَـى النـار[1]

قَالَ: قَالَ أبُو الجراح الأعرابي: وقع بين امرأة يقَالَ لها: ميثاء- قَالَ: أبُو الجراح: وقد رأيتُها- وبين زوج لها يقَالَ له: خطام من بني مجاشع- لحًا[2]، فقَالَت ميثاء تدعو عَلَيه:

يـا رَبَّ رَبِّ البيـتِ والحُجَّـاجِ ... رَزَقْـتَ ميثـاءَ مـن الأزواج

هَجَاجَـة مـن أحمـق الهَجَـاجِ ... عَفَنْجَجًـا يضـل في العَجَـاج[3]

لا يعـرف الـديكَ مـن الـدَّجاجِ ... أجـرأ مـن ليـثٍ بليـلٍ دَاجِ

عند المناجاةِ[4] وعند الحاج

قَالَ أَحمد بن معاوية بن بكر الباهلي: حَدَّثَنِي داود بن داود، قَالَ: «كانَ لذي الإصبع العدواني أربعُ بنات، وكن يُخْطَبن، فلا يُزَوِّجهن، وكَانَت أُمُّهُنَّ تأمره بتزويجِهن، وتقول: إنهن يُردن الأزواج، فيسألهن، فيَستحين، فيقلن: لا نريد!

---

(1) ذكر الأصفهاني قصة شبيهة في «الأغاني» (8/ 422).

(2) **لحا**: أي: مُشاتم.

(3) **الهجاج**: الأحمق، **والعفنجج**: هو الأخرق الجافي الذي لا يتجه لعمل، **والعجاج**: الدخان والحمق.

(4) **المناجاة**: من ساره سرًّا.

حتَّى خرج ليلةً إلَى مُتحدَّث لهن، فاستمع عَلَيهن، وهُنَّ لا يَعلمن، فقلن: تعالين، فلنتمن، ولتصدق كُلُّ واحدةٍ منا، فقَالَت الكبرى:

ألا ليتَ زوجي من أناسٍ ذَوِي غِنًى ... حَدِيثَ الشَّبَابِ طَيِّبَ الرُّوحِ والعِطر
طبيبٌ بأدواء النِّسَاء كأنَّه ... خليفة جانٍ لا ينام عَلَى هجْرِ

فقلن لها: أنتِ تُحِبِّين رجلًا من قومك!

فقَالَتِ الثانية:

ألا هل أراها مرة وضَجِيعها ... أَشَمُّ كَنَصْلِ السيف غير مُبَلَّد
لَصُوقٌ بأكباد النِّسَاء وأَصْلُهُ ... إذا ما انتمى من سر أهلي ومحتدي

فَقُلْنَ لها: أنت تحبين رجلًا من قومك!

فقَالَت الثالثة:

ألا ليته يَمْلَأُ الجفانَ لِضَيفه ... له جفنة يشقى بها الناب والجزر[2]
به حكمات الشَّيب من غير كُبرة ... تشين ولا وانٍ ولا صرع غمر[3]

فقلن لها: أنتِ تحبين رجلًا شريفًا!

وقِيلَ للرَّابعة- وهي الصُّغرى: تمني!

---

(1) المحتد: أي: ذا أصل.

(2) الناب: الناقة المسنة، واجزر: الشاة السمينة، أو النوق المجذورة.

(3) حَكَمَات: جمع حَكَمَة: شأن الإنسان وأمره، والغمر: من لم يجرب الأمور.

قَالَت: ما أريد شيئًا.

قلن: والله لا يبرحن حتَّى نعرف ما في نفسك!

قَالَت: زوجٌ من عُودٍ خيرٌ من القُعودِ.

فلما سمع أبوهن مقَالَتَهُنَّ زَوَّجَهُنَّ أربعةً، فمكثن بُرْهَةً، ثمَّ اجتمعن عنده، فقَالَ للكبرى: يا بُنية ما مالُكم؟

قَالَت: الإبل، قَالَ: وكيف تجدونها؟

قَالَت: خير مال؛ نأكل لحومها مزعًا[1]، ونشرب ألبانها جرعًا، وتحملنا وضَعَفَتَنَا معًا.

قَالَ: فكيف تجدين زَوْجَكِ؟

قَالَت: خير زوجٍ يُكرم الحليلة، ويُعطي الوسيلة[2].

قَالَ: مال عميم، وزوجٌ كريم.

وقَالَ للثانية: ما مالُكم؟

قَالَت: البقر.

قَالَ: وكيف تَجدونها؟

---

(1) لحومها مزعًا: أي قطعًا.

(2) الوسيلة: القربى أو الدرجة.

obeikandi.com

قَالَت: خير مال، تألت الفناء، وتملأ الإناء، وتُودك السِّقاء[1]، ونساء مع نساء.

قَالَ: كيف تجدين زوجَك؟

قَالَت: يُكرم أهله، ويَنسى فضله.

قَالَ: حَظِيتِ، ورَضِيتِ.

ثمَّ قَالَ للثالثة: ما مالُكم؟

قَالَت: المعزى.

قَالَ: وكيف تجدونها؟

قَالَت لا بأس بها؛ نُولدها فطمًا، ونسلخها أدمًا[2].

قَالَ: كيف تجدين زوجك؟

قَالَت: لا بأس، ليس بالبخيل الحتر[3]، ولا بالسمح البذر.

قَالَ: جدوى مُغنية[4].

---

(1) وتودك السقاء: تملؤه دسمًا.

(2) ونسلخها أدمًا: أي: جلودًا.

(3) البخيل الحتر: المقتر في الإنفاق.

(4) الجدوى: العطية.

obeikandi.com

ثمَّ قَالَ للرابعة: ما مالُكم؟

قَالَت: الضأن.

قَالَ: وكيف تجدونها؟

قَالَت: شَرُّ مال، جوف لا يشبعن، وهيم لا يَنقعن، وصُمٌّ لا يَسمعن، وأمر مُغويتهن يتبعن.

قَالَ: فكيف تجدين زوجك؟

قَالَت: شرُّ زوج يُكرم نفسه، ويُهين عرسَه[1].

قَالَ: أَشْبَه أمرًا بعض بزه»[2].

قَالَ الأصمعي: حَدَّثَنِي عيسى بن عمر، قَالَ: كنتُ بالبادية، فَتَضَيَّفْتُ امرأة، فدخلتِ الخِبَاءَ، فجعلت تريغ زوجها عَن قِرَاي[3] ويُريغها، فسمعتها تقول:

أنـا ابنـةُ الأخيـل المُعَّـم المخـولِ إن كنـت تَجهلنـي فَعَنِّـي فَاسْـأَلِ[4]

---

(1) عرسه: أي: زوجته.

(2) البز: المتاع. والمعنى: يريدانها وزوجها شبيهان.

(3) عن قراي: أي: تميل عن إضافته.

(4) الأخيل: المتكبر.

(5) الناب: الناقة المسنة، واجزر: الشاة السمينة، أو النوق المجذورة.

قَالَ: فقَالَ الزَّوج:

أنا ابنُ بلالٍ صاحب العَين والخال

قَالَ: فَأَتَتْنِي بِقُرْصٍ مثل فِرْسَنِ الحلةِ[1]، قَالَ: فجعلت الملم منها مثل أَثْبَاجِ القَطَا الكُدْرِي»[2].

الهيثم قَالَ: مدح قتادةُ بن مغرب يزيدَ بن المهلب، فأعطاه، وملأ يديه، وتزَوَّج بنتَ يزيد الحنفي، فلما بَنَى بها، فَركها[3] من ليلتها، فلما أصبح طَلَّقَهَا، وقَالَ:

وتَجَهَّزِي للطلاقِ وارْتَحِلي ... ذاك دواءٌ لِلرَّامِحِ الشمسِ[4]

لَلَيْلَتي حين بِنْتِ[5] طالقة ... أَلَذُّ عِنْدِي مِن لَيْلَةِ العُرْسِ

بِتُّ لديها بِشَرِّ مَنْزِلَةٍ ... لا أنا في نعمةٍ ولا فَرَسِي

هَذَا عَلَى الخسف لا قَضِيمَ لَهُ ... وبِتُّ ما إن يسوغ لي نَفْسِي

قَالَ: فأَلْحَقَهَا بأهلها، وبَلَغَهَا قولُه، فَشَدَّتْ عَلَيها ثيابَها، وأتت بابَ يزيد

---

(1) فرسن الحلة: الفرسن للبعير كالحافر للدابة، الحلة: مؤنثة الحلان وهو الجدي أو الخروف.

(2) أثباج: جمع ثبج الثَّبَجُ: طائر يصيح اللَّيل كلَّه كأنَّهُ يَئِنّ، وصدر القطا الكدري نوع من أنواع الطيور.

(3) بنى بها فركها: أي: لما دخل بها كرهها.

(4) للرامح الشمس: أي: الجموح.

(5) بنت: أي: بعدت.

بن المهلب، فاستأذنتْ عَلَيه، فَدَخَلَتْ، وقتادةُ عنده، فقَالَت:

حلفتُ فلم أكذب وإلا فَكُلُّ ما ... ملكتُ لِبَيْتِ اللهِ أُهديه حَافِيَه
لو أَنَّ المَنَايَا أَعْرَضَتْ لاقتحمتُها ... مَخافة فيه أن فيه لَدَاهِيَه[1]
وكيف اصْطِبَارِي يا قَتَادَةُ بعدما ... شَمَمت العِدى مِن فيك أدمى سَمَاخِيَه[2]
فما جِيفَةُ الخنزيرِ عِند ابن مغرب ... قتادة إلا ريح مِسْكٍ وغَالِيَه

وقَالَ العتبي: حَدَّثَنِي أبُو أَحمد، قَالَ: سُئِلَ أعرابي عَن امرأته- وكان حَدِيثَ عهدٍ بتزويج- قَالَ: فقَالَ: أفنان أَثْلَة[3]، وجنى نَخْلَة، ومَسُّ رَمْلَة، وكأنني آيبٌ في كل ساعة من غَيْبَة.

قَالَ: وسُئِلَتْ عنه، فقَالَت: أَفْنَانُ الجَنَّة، وحُسْنُ الروضة، وطيبُ الحياةِ في نعمةٍ مُقيمة.

وقَالَ أَحمد بن الحارث: عَن أبي الحسن المدائني، قَالَ: كانَ يزيدُ بن هُبَيرة المُحاربي أولَ أَمِير وَلِي اليمامةِ لعبد الملك بن مرْوان، فتزوج امرأةً من ولد طلبة بن قيس بن عاصم المنقري، فقَالَت:

لَلُبْسُ عَبَاءَةٍ وتَقَرَّ عيني ... أَحَبُّ إليَّ من لُبْسِ الشُّفُوفِ[4]

---

(1) فيه: أي: فمه.

(2) السماخ: كالصماخ، وهو صماخ الأذن معروف.

(3) أفنان أثلة: أي: أغصان شجرة.

(4) لبس الشفوف: الثياب الرقيقة.

وبَكْـرٌ يتبـع الأظعـانَ صَـعبٌ[1] أحـبُّ إلـيَّ مـن بَغْـلٍ زفُـوفِ
وبيـــتٌ تخفـــق الأرواحُ فيـــه أحـبُّ إلـيَّ مـن قَصْـرٍ مَنِيـفِ[2]

وقَالَ أبُو الحسن: تَزَوَّج رجلٌ من بني جسرٍ امرأةً من ولد طلبة بن قيس، وكان الرجلُ دَعِيًّا، فرفع إلَى يزيدِ بْنِ هُبَيْرَة، ففرَّق بينهما، وقَالَت- وهي عنده-:

لقد كنتُ عَـن حجر بعيدًا فساقني صُرُوف النَّوى والسَّابقات إلَى حجرِ
يقولـون: فـرشٌ مـن حريـر وإنمـا أرى فرشَـهم عنـدي كحاميـة الجَمْـرِ
وإني لأسـتحيي تميمًـا وغيرَهـا مـن إنكـاحهم إيَّـاي عبـدَ بنـي جسْـرِ

قَالَ أبُو الحسن: «تهاجتِ امرأتان من العرب كَانَتا عِند رجلٍ: سَمِينَة، ومَهْزُولَة، فقَالَت: تَزَحْزَحِي عني يا مرونة!

إن البَرَاذِينَ إذا جرينه من الجياد ساعةً أَعْيَيْنَهُ

قَالَت السَّمِينَةُ: يا بنتَ مهراس! قفي أقول لك: ما أقبحَ الوجهَ وما أذَلك، فلو ركبتِ جندبًا[3] أَقَلَّكِ، ولو أردتِ ظِلَّهُ أَظَلَّكِ».

قَالَ أبُو الحسن: زَوَّجَت هندُ بنت بن عامرٍ الأسلمي ابنتينِ لها، واحدةً في

---

(1) البكر: الفتيُّ من الإبل، وهو استعارة للشاب، والبغل الزفوف: استعارته لزوجها، والزفوف: من زف أي: أسرع.

(2) وبيت تخفق الأرواح فيه: أي: بيت من الشعر تخفق فيه الرياح، والمراد أنها تفضل شبان البدو وأحوالهم على مدنية زوجها.

(3) ركبت جندبًا: أي: جرادة، والثَّبَجُ: طائر يصيح اللَّيل كلَّه كأنَّهُ يَئِنّ.

بني قشير، وأخرى في بني أَبي بَكر كلاب، فقَالَت:

لقد أَرْسَلَتْ ليلى إِثَرَ هِنْدٍ ... فلم أُدْرِكْ بذَلِك مِن نصيبِ
لعمرك ما ابنةُ السلمي ليلى ... بفاحشةِ المَحَلِّ ولا كَذُوبِ
ولا مشاءة في يوم ريح ... تُحدث عَن أَحَادِيثِ المَعِيبِ

قَالَ أَبُو مُحَمَّد عَبد الله بن صالح بن مسلم العجلي، قاضي فارس، عَن الشرقي بن القطامي، قَالَ: «تَزَوَّج رجلٌ من همدان ابنةَ عَمٍّ له، وكان لها مُحِبًّا، فلم يلبث أن ضُرِبَ عَلَيه البعثُ[1] إِلَى أذربيجان، فأصاب بها خيرًا، واستفاد جاريةً وفَرَسًا، فسَمَّى الفرسَ الوَرْدَ، والجاريةَ حبابَةً، ثمَّ قفل البعثُ، ولم يَقفل[2] هو، فأتاه ابنُ عَمٍّ له، فقَالَ: ما يمنعكَ من القفول، قَالَ: أخشى ابنةَ عَمِّي أن تحول بيني وبين هَذِه الجارية، وقد هويتُها، فأنشأ يقول- وكتب به إليها-:

ألا لا أُبَالِي اليومَ ما صَنَعَتْ هِنْدُ ... إذا بقِيَتْ عندي حبابةُ والوردُ
شديدُ نِيَاطِ[3] المَنْكِبَيْنِ إذا جرى ... وبيضاءُ مثل الريم زَيَّنَهَا العِقْدُ
فهَذَا لأيام الهِيَاجِ وهَذِه ... لموضع حاجاتي إذا انصرفَ الجُنْدُ

فكتبتْ إليهِ امرأتُه:

---

(1) البعث: أي: الجيش.

(2) ولم يقفل: لم يرجع.

(3) شديد نياط: أي: معلق كل شيء.

لَعَمْرِي لئن شطتَ[1] بعُثمان داره ... وأضحى غَنِيًّا بالحبابَةِ والوَرْدِ
ألا فَأقرئه مني السلامَ وقل له ... غَنِيًّا بفتيان غطارفة مُرْدِ
إذا شاء منهم ناشئٌ مَدَّ كَفَّهُ ... إلَى كفل رَيَّان أو كَعْثَبِ نَهْدِ
بحمد أمير المُؤمِنِينَ أقرهم ... شبابًا وأغزاكم خوالف في الجند
فما كنتم تقضون حاجةَ أهلِكُم ... قريبًا فيقضوها عَلَى النأي والبُعْدِ
فَأَرْسِلْ إلينا بالسَّرَاح[2] فإنه ... مُنَانَا ولا ندعو لك اللهَ بالرشدِ
إذا رجع الجندُ الَّذي أنت منهمُ ... فزادك ربُّ النَّاس بعدًا عَلَى بُعْدِ

فلما وصلت أبياتُها إليه باع الجارية، وأقبل مسرعًا، فوجدها معتكفةً عَلَى مسجدها وصلاتها! فقَالَ: يا هند! فعلتِ ما قُلْتِ؟ قَالَت: اللهُ أَجَلُّ في عيني وأعظم من أن أركب له مأثمًا، ولكن كيف وجدتَ طعمَ الغَيْرَةِ؟ فإنَّك غِظتَني فغظتُك!».

وقَالَ المدائني: عَن أبان بن تغلب، قَالَ: «قَالَت أعرابيةٌ لابنتها: أُزَوِّجُكِ؟ فامتنعت عَلَيها حينًا، ثمَّ قَالَت: يا أُمَّه! إن كنتِ لا بُدَّ فاعلةً، فَجَنِّبِيني ذا السِّنِّ الكبير، لا أَتَعَجَّلُهُ؛ فإن فيه قلةَ النَّشاط، وعجزةَ الوَلَدِ، واجْعَلِي عمودَ رغبتِك في ذي الخُلق الحسن، ولَابِسِ ثَوْبِ الشُّكْرِ- وإن كانَ لا شيء- خيرٌ من الكبير ذي الحِدَّة، وإذا أرسلتِ فأرسلي حكيمًا.

---

(1) شطت: أي: بعدت.

(2) السراح: أي بالطلاق.

قَالَ: فليتَنِي كنتُ عزبًا، ما فَاتَتْنِي حتَّى أَتَزَوَّجَهَا».

قَالَ أَبُو الحسن: «نشزت[1] أُمُّ الصريح بنت أوس، وأختُها أم إياس-وهم من كِنْدَة التي في بني كليب بن يربوع- عَلَى أبي الصريح الكليبي، فقَالَت:

كَأَنَّ الدارَ يومَ تَكُونُ فيها ... علينا حُفْرَة مُلِئَتْ دُخَانًا
فَلَيْتُكَ في سفين بني عباد ... طَرِيدًا لا نراكَ ولا تَرَانَا
وليتَكَ غائبًا بالهِنْدِ عَنَّا ... وليتَ لنا صديقًا فَاقْتَنَانَا
ولو أن النذورَ تكف منه ... لقد أهديتها مائة هجانا

ولبعضِ المُحَدِّثات تَذُمُّ زَوْجَهَا:

يا من يُلَذِّذُ نفسَهُ بِعَذَابِي ... ويرى مُقَارَنَتِي أشدَّ عذابِ
مَهْمَا يُلَاقِي الصابرونَ فإنهم ... يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابِ
لو كنتَ مِن أهلِ الوَفَاءِ وفيتَ لي ... إن الوفا حُلِيُّ أولي الألباب
ما زلتُ في استعطاف قلبك بالهوى ... كالمرتجي مطرًا بغير سحاب
يا رَحْمَتِي لي في يَدَيْكِ ورحمتي ... لي منكَ يا شيئًا من الأصحاب
يا ليتني من قبل مِلْكِكَ عِصْمَتِي ... أمسيتُ مِلْكًا في يد الأعراب
هل لي إليك إساءة جازيتها ... إلا لباسي حُلَّةَ الآداب

(1) نشزت: أي: استعصت على زوجها وأبغضته.

obeikandi.com

بَلَاغَاتُ النِّسَاءِ، ومَقَامَاتُهُنَّ، وأَشْعَارُهُنَّ

ومِمَّا تَخَيَّرناه في «المَنثور والمَنظوم»، وبدأنا في هَذَا الجزء بأخبار ذوات الرأي منهن، والجزالة، وجواباتهن المُسْكِتَة، وأحاديثهن المُمتعة.

أي: ويبدأ الآن مقاماتهن، وأشعارهن.

قَالَ أَبُو عُبَيد اللهِ مُحَمَّد بن زياد الأعرابي: حَدَّثَنَا خالد بن الحارث، ومُعاذ بن مُعاذ، وعَفَّان بن مُسلم ويعقوب الحضرمي، عَن عَبد الله بن حسان، عَن جَدَّتَيْهِ دحية وعلية، عَن جَدَّتِهِمَا قيلة بنت مخرمة[1]، وأَخبرنَا حجاش العنبري، عَن أَبيهِ، عَن المنجاب، عَن قيلة، وحَدَّثَنَا أَبُو زيد عمر بن شَبَّة، والزُّبير بن بكَّار بمثل هَذَا الإسناد، عَن قيلة، وحَدَّثَنِي عَبد الله بن شبيب، قَالَ: حَدَّثَنِي إبراهيم بن مُحَمَّد الحلبي، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبد الله بن سواد العنبري، عَن حفص بن عمر الحوضي النمري- بعضهم خالف بعضًا في اليسير منه، والمعنى واحد- قَالَت: كنتُ ناكحةً في بني جناب بن الحارث بن جهبة بن

---

(1) قيلة بنت مخرمة التميمية، كانت تحت حبيب بن أزهر أخي بني جناب، فَوَلدت له النِّساء، ثم تُوفِّي في أَوَّل الإسلام فانتزع منها بناتها عَمَّهن أثوب، وهاجرت إلى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع حريث بن حسَّان وافد بني بكر بن وائل. انظر: «الإصابة» لابن حجر (8/ 288).

عدي بن جندب بن العنبر رجلًا منهم، يقَال له: الأزهر بن مالك، وأنه مات، وترك بناتٍ فيهن، واحدة فزيراء[1]، وهي صُغراهن، قد أخذتها الفرصة[2]، قَالَت: خرجتُ أبتغي الصَّحابةَ إلَى رَسُول اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ[3]، في نَأْنَأَةِ الإسلام[4]، فبَكَتِ الحُديباءُ[5] عَلَيَّ، فرحمتُها، فحملتُها معي عَلَى بعيري سرًّا مِن عَمِّهَا أثوب بن مالك، فخرجنا نَرْتَك جَمَلَنا[6] إذ انْتَفَجَتِ[7] الأرنبُ، فقَالَت الحُديباءُ: الفصية وربِّ الكعبة لا يزال كَعْبُكِ عاليًا عَلَى كعبِ أَثْوَبَ[8]، فبينا الجمل يَرْتَك إذ خَلَا وأَخَذَتْهُ رِعْدَةٌ[9]، فقَالَت الحديباء: أدركتِك والأمانة أخذةُ أثوب[10]، فقلت- واضطررتُ إليها-: فما أصنعُ؟[1].

---

(1) **الفزيراء**: التي قاربت البلوغ، أو الممتلئة شحمًا ولحمًا.

(2) **الفرصة**: ريحٌ تَفرص الظَّهر فيحدودب.

(3) أي: خرجت إلى رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أبتغي صُحبته، أي: لتكون من صحابته وأتباعه.

(4) **نأنأة الإسلام**: أي: في ضعفه حين بدء ظهوره.

(5) أي: التي أصابها احدوداب الظَّهر.

(6) أي: يحملانه على الرتكان، وهو السَّير السريع.

(7) انتفجت: أي: ثارت.

(8) **الفصية**: الفَرج وزوال الشِّدَّة. وهذا نوعٌ من التفاؤل بالأرنب.

(9) لعل المراد أن الجمل لما صار في الخلاء أخذته رعدة فتعطل سيره.

(10) أي: أنه سيدركنا ويلحقنا في الطريق.

قَالَت: تقلبِين ثيابَكِ ظهورها لبطونها، وتقلبِينَ أَحْلَاسَ جَمَلَكِ[2] ظهورها لبطونها، وتقلبينَ ظهركِ لبطنكِ، ثمَّ قَلَبت سبيّجها مِن صُوف[3]، فَقَلبَتْ ظهرَها لبطنِها.

قَالَت: فَفَعَلْتُ ما أمرتْنِي به، فقام الجملُ، فَفَاجَ[4]، وبَالَ، وأعدت عَلَيه أداته، ثمَّ خرجنا نَرْتَكِهُ، فإذا أثوبُ يسعى عَلَى آثارنا بالسَّيف صلتًا[5]، فَوَأَلْنَا[6] منه إلى خباء ضخم، فألقى الجمل ذَلُولًا لدى رواق البيتِ[7] الأوسط، فاقتحمتُ داخله بالجارية، وتناولني بسيفِه، فأصابت ظُبتُه طائفةً من قَرْنِي[8]، وقَالَ: ألقِ إليَّ ابنةَ أَخِي يا دَفَارِ[9]، فألقيتُها إليه، وكنتُ أعلمَ به منهم، وقد تَحَشْحَشَ له القومُ، ثمَّ انطلقتُ إلَى أختٍ لي ناكحٍ في بني شيبان، أبتغي

=

(1) ماذا نفعل حتى يزول ما أصاب الجمل.

(2) أحلاس: جمع حلس، وهو الكساء الذي يكون على ظهر البعير تحت الرَّحل.

(3) **سبيج**: قميص بالفارسية.

(4) إذا بَاعَدَ إحدى رجليه من الأخرى لِيَبُول.

(5) صلتًا: أي متجردًا صقيلًا ماضيًا.

(6) فوألنا: أي: لجأنا.

(7) رواق البيت: أي: مقدمه.

(8) الظبة: حد السَّيف، والقرن هنا: الجانب الأعلى من الرأس.

(9) دفار: كلمة سَبٍّ من الدّفر، وهو النتن.

الصَّحابةَ إلَى رَسُول اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فبينا أنا عندها ذات ليلة تحسب أني نائمة، إذ جاء زوجُها من السَّامِر[1]، فقَالَ: وأبيكِ لقد أصبتِ لقيلة صاحبَ صِدْقٍ!

قَالَت: ومَن هو؟

قَالَ: هو حُريث بن حَسَّان غاديًا ذا صباح، وافد بكرِ بن وائل إلَى رَسُول اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

قَالَت: يا ويلَها! لا تُخبرْ بهَذَا أختي، فَتَتبعْ أخا بكر بن وائل بين سمع الأرض وبصرِها ليس معها من قومها رجلٌ.

قَالَ: لا تذكريه لها، فإني غيرُ ذاكره لها.

فلما أَصْبَحتُ- وقد سَمِعَتُ ما قَالَ- شَدَدْتُ عَلَى جملي، فانطلقتُ إلى حُرَيث بن حَسَّان، فسألتُ عنه، فإذا به وركابُه مُنَاخَةٌ، فسألتُه الصَّحابةَ إلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فقَالَ: نُعْمَى وكَرَامَة، فخرجتُ معه صاحبَ صِدْقٍ حتَّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُول اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وآله، فدخلنا المسجد حين شقَّ الفجرُ، وقد أُقيمتِ الصلاةُ، فصلى- والنجوم شابكة- والرِّجال لا تكاد تعارف من ظُلمة الليل، فصففتُ مع الرجال[2]، وكنتُ امرأةً حَدِيثةَ عهدٍ بجاهلية، فقَالَ لي رجلٌ- إلَى جَنْبي-: امرأةٌ أنتِ أم رجل؟

---

(1) **السَّامر:** النَّادي الذي يتحدثون فيه ليلًا.

(2) تعارف: أي: تتعارف، وصففت مع الرِّجال: أي: وقفتُ مع الرِّجال في صفوفهم.

قلتُ: امرأة.

قَالَ: كِدْتِ تَقْتِنِينِي[1]! عليكِ بالنِّسَاءِ وراءَك، فإذا صَفٌّ من النِّسَاء قد حُدِثَ عِند الحُجُراتِ لم أكن رأيتُه حين دخلتُ، فَصَفَفْتُ معهن، فلما صَلَّيْنَا جعلتُ أرى ببصري الرجلَ ذا الرُّواء أو القثر[2] لِأَرَى رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حتَّى دنا رجلٌ، فقَالَ: السَّلام عليكَ يا رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، إذا هو جالسٌ القرفصاءَ ضَامٌّ ركبتيه إلَى صدره عَلَيه أَسْمَال[3] مُلَبَّبَتَيْن كَانَتا مَصبوغتين بِزَعْفَرَان فَنُفِضَتا، وبيده عُسَيِّبٌ[4] مَقشور غير خويصتين من أعلاه، فقَالَ: وعليكَ السَّلام ورحمة الله، فلما رأيتُ رَسُول اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وآله، والتَّخَشُّعَ في مجلسه أُرْعِدتُ من الفَرَق[5]، فقَالَ له جليسُه: يا رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أُرْعِدَتِ المسكينةُ!

فقَالَ بيده: يا مسكينةُ، عليكِ السَّكِينَةُ!

فذهب عني ما كنت أَجِدُ من الرُّعْبِ.

---

(1) تقتنيني: أي: تخالطيني.

(2) **الرواء:** المنظر الحسن. **والقثر**: أي: القماش، والمعنى: أي: الرجل ذو الهيئة الحسنة في خلقته ولبسه.

(3) **أسمال:** أي: أثواب بالية.

(4) العسيب: جريدة من النخل رقيقة مستقيمة.

(5) الفرق: أي: الفزع.

قَالَت: فتقدم صاحبي أول مَن تَقَدَّم، فبايعه عَلَى الإسلام، وعلى قومه، ثمَّ قَالَ: يا رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! اكتب لنا بالدَّهْنَاءِ[1] لا يجاوزُهَا من تميمٍ إلينا إلا مسافرًا أو مجاورًا.

فقَالَ: «**يا غُلَامُ، اكْتُبْ لَه بالدَّهْناء**».

قَالَت: فلما رأيتُ ذَلِك شَخَصَ بي[2] - وهي داري ووطني- فقلت: يا رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إنه لم يسلك السَّوِيَّةَ من الأمر! هَذِه الدَّهناء عندك مقيد الجملِ، ومرعى الغنم، ونساء تَميم وأبناؤها وراء ذَلِك.

قَالَ: «**صدقتِ! أَمْسِكْ يا غلامُ؛ المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، يَسَعُهم الماءُ والشجرُ، يَتَعاونان عَلَى الفَتَّان**»[3]- كذا قَالَت.

فلما رأى حريث- وقد حِيل دون كتابه- صَفَّقَ بإحدى يديه عَلَى الأخرى، ثمَّ قَالَ: كنتُ أنا وأنتَ كما قَالَ الأول: حَتْفَهَا حَمَلَتْ ضَأْنٌ بِأَظْلَافِهَا[4].

قَالَت: فقلتُ: أَمَا واللهِ لقد كنت دليلًا في الليلة الظَّلماء، جوادًا بذي

---

(1) الدهناء: مكان من ديار بني تميم.

(2) **شخص بي:** فزعتُ وأُزعجت.

(3) **الفتان:** الشياطين، وقيل: اللصوص.

(4) «حتفها حملت ضأن بأظلافها»: مَثَلٌ مِن أمثال العَرب في شاةٍ بَحثت بأظلافها في الأرض، فأظهرت مُدية؛ فذُبحت بها، فصارت مَثَلًا.

الرَّحل، عفيفًا عَن الرفيقة، صاحب صِدق، حتَّى قَدمنا عَلَى رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن لا تَلُمني أن أسألَ حَظِّي إذ سألتَ حَظَّك، قَالَ: وما حَظُّك من الدَّهْناء؟ لا أَبَا لَكِ!

قَالَت: قلتُ: مَقْيَدُ جَمَلي (1)، سَلْهُ لِجَمَل امرأتِك.

قَالَ: أما أني أُشْهِدُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أني لك أخٌ ما حييتُ- إذا أثنيت هَذَا عليَّ عنده.

قَالَت: قلت إذ بدأتُها؛ فإني لا أُضيعها.

قَالَت: فقَالَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما يَمْنَعُ ابنَ هَذِه أن يَفصل الخطة، وينتصر مِن وراء الحُجزة؟**».

قَالَت: فبكيتُ، وقلتُ: يا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقد ولدتُه(2) حزامًا، وقَاتَلَ معك يوم الرِّبْذَة، ثمَّ انطلق إلَى خيبر يُمِيرُنِي منها(3)، فأصابته حُمَّاهَا فمات، وترك عليَّ النِّسَاءَ، فقَالَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لولا أنَّكِ مِسْكِينَة لجُرِرْتِ عَلَى وجهِك، أو لأمرتُ بكِ فجُرِرْتِ عَلَى وجهِكِ، أَتغلبُ إحداكُنَّ أن تُصاحب صُوَيْحِبَهَا في الدُّنيا معروفًا؟ فإذا حال بينه وبين مَن هو أَوْلَى به منه. قَالَ: رب أَثِبْنِي عَلَى ما أمضيتَ، وأَعِنِّي عَلَى ما أبقيتَ، فوالَّذي**

---

(1) **مقيد الجمل**: تريد أنَّها مُمرعة فلا يَتعدى الجَمل فيها مَرتعه.

(2) **أي: ابنها**. وحزام: اسمه.

(3) أي: يأتيني بالمِيرة، وهي الطَّعام والقُوت.

نفسُ مُحَمَّدٍ بيدِه، إنَّ أُحَيْدَكم ليبكي، فيَستعفر لَهُ صُوَيْحِبُهُ؛ فيا عباد الله لا تُعَذِّبُوا إخوانَكم».

قَالَت: ثمَّ أَمَرَ فكُتب لي في قطعة أَدِيم أَحْمر: «**لِقيلَة والنِّسوة بنات قيلَة؛ أَلَّا يُظْلَمْنَ حَقًّا، ولا يُكْرَهن عَلَى مَنْكِحٍ، وكُلُّ مُؤمن ومُسلم لهن نَصيرٌ. أَحْسِنَّ ولا تُسِئْنَ**»[1].

عَن المنجاب [قال]: «أدركتُ إحدى بنات قَيْلَةَ في زمن الحَجَّاج قد خَطَبَها رجلٌ من أهل الشَّام، فَأَبَت، فأرسلَ إليها الحجاجُ حتَّى أَكْرَهها عَلَيه، فجعلت تَتَّقِي بكتابِها، وهو في يديها، وتقول: إنَّ في كتابِنا أن لا نُكْرَهَ عَلَى مَنكح، فلم يَلتفت إلَى كتابِها، ودَفَعها إلَى الشَّامي».

قَالَ أَبُو عَبد الله: في قولها: «تحشحش له القوم»-: إن المُتَحَشْحِشَ: أن يَهزل الرجل بعد يَبَسٍ، قَالَ العقِيلِي: قد تَحَشْحَشْنَا في آخر هَذَا الشهر- يعني شهر رمضان- أي: يَبسنا وهزلنا، وقحلنا من الصيام، وهي تَحَسْحَسَ، بالسِّين أصوبُ، أي: تَحَرَّك له القومُ، وتَحَسْحَسَتِ اللحمةُ في النار: إذا انْقَبَضَتْ، وسَمِعْتَ لها صوتًا.

(1) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (25/ 446) وغيره، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (6/ 9): «رواه الطبراني، ورجاله ثقات». وقال ابن عبد البر: «هو حديث طويلٌ فصيحٌ حَسَن، وقد شرحه أهلُ العلم بالغريب». «الإصابة» (8/ 288).

obeikandl.com

وَمِنْ أَخْبَارِ ذَوَاتِ الرَّأْيِ، والجَزَالَةِ مِنَ النِّسَاءِ

حَدَّثَنَا أَحمد بن عبيد البصري، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عبد الرحمن العتبي، عَن أَبيهِ، قَالَ: قَدِمَ الحجاج بن يوسف عَلَى الوليد بن عبد الملك، فَأَلْفَيَاهُ يَدْفِنُ بِنْتًا له، فمال إِلَى قبرِ عبد الملك، فَصَلَّى عنده ركعتين، ثمَّ انصرف، وقد ركب الوليدُ، فمشى بين يديه، وعَلَيه دِرْعٌ وقَوْسٌ، فقَالَ: اركب يا أبا مُحَمَّد، قَالَ: يا أمير المُؤمِنِينَ! دعني أستكثر من الجهاد؛ فإن ابن الزبير وعبد الرحمن بن الأشعث شَغَلَانِي عَن الجهاد زَمَنًا طويلًا، فعزم عَلَيه[1] الوليدُ، فَرَكِبَ، فلما دخل القصرَ ألقى الوليدُ ثِيَابَهُ، وبقي في غِلَالَةٍ[2]، ثمَّ أذن للحَجَّاج، فبينا هو يحدثه ويقول له: يا أمير المُؤمِنِينَ! إذ أَقْبَلَتْ جاريةٌ، فَسَارَّتِ الوليدَ، ثمَّ انصرفَت، ثمَّ عادت، فقَالَ الوليد: يا أبا مُحَمَّد! أتدري ما قَالَت هَذِه الجارية؟ قَالَ: لا يا أمير المُؤمِنِينَ، قَالَ: أَرْسَلَتْ إِلَيَّ أُمُّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان[3]: ما

---

(1) أي: عبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الأشعث ممن خرجا على وُلاة بني أمية، وقد قاتلهما الحجاجُ زمنًا طويلًا، فَعَزَمَ عليه: أي: أقسم عليه.

(2) الغلالة: شعار تحت الثوب.

(3) هي: أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، =

مجالستكَ هَذَا الأعرابي، وهو في سلاحه، وأنت في غلالة؟! لأن يخلوَ بك مَلَكُ الموت أحب إليَّ من أن يخلو بك الحجَّاج، وقد قَتَلَ النَّاس! قَالَ الحجَّاج: يا أمير المُؤمِنِينَ، أمسك عَن تَنَزُّفِ[1] النِّسَاء؛ فَإِنَّ المرأةَ رَيْحَانَةٌ، وليست بِقَهْرَمَانَةَ؛ لا تُطْلِعْهُنَّ عَلَى أَمْرِكَ، ولا تُطْمِعْهُنَّ في سِرِّكَ، ولا تُدْخِلْهُنَّ في مَشُورَتِكَ، ولا تستعملهن بأكثر من زينتهن.

يا أمير المُؤمِنِينَ- ولا تَكُن للنِّساء بِرَؤُوم[2]، ولا لمجالستهن بِلَزُومٍ؛ فإنَّ مجالستَهن صَغَارٌ ولُؤْمٌ.

ثمَّ نهض الحجاجُ، فدخل الوليدُ عَلَى أم البنين، فأخبرَها بمقَالَة الحجاج، فقَالَت: إني أحب أن تَأْمُرَهُ أن يُسَلِّمَ عَلَيَّ غدًا، فلما أصبح غدا الحجاجُ عَلَى الوليد، فقَالَ: اعدل إلَى أم البنين، فقَالَ: أعفني يا أمير المُؤمِنِينَ، قَالَ: لتفعلنَّ، قَالَ: ففعل، فَحَجَبَتْهُ طويلًا، ثمَّ أَذِنَتْ له، فأقرته قائمًا، ثمَّ قَالَت: يا حَجَّاج! أنت المُمتنُّ عَلَى أمير المُؤمِنِينَ بقتل ابن الزُّبير وابنِ الأشعث؟! لقد كنتَ المَوْلى- أي: العبد- غير المُستعلي، أما والله لولا أنك أهونُ خلقِه عَلَيه-

---

=

زوج الوليد بن عبد الملك، وابنة عمه، لها أخبار وحكايات أوردها ابنُ عساكر في «تاريخه»، ويُؤثر عنها أقوالًا فصيحة. «تاريخ مدينة دمشق» (28/ 201).

(1) التنزف: ذهاب العقل.

(2) ولا تكن للنساء بِرَؤُوم: أي: محب ألوف.

الضمير راجعٌ إلَى الله- ما ابتلاكَ بِرَمْيِ الكعبة، ولا بقتل ابنِ ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ[1]، فأمَّا ما ذكرتَ من قتلِ ابن الأشعث، فَلَعَمْرِي لقد استفحل عليكَ، ووَالَى الهزائم حتَّى غَوَّثْتَ، فلولا أن أمير المُؤمِنِينَ نادى في أهل الشام- وأنت في أضيق من القرن- فَأَظَلَّنَّكَ رماحُهم، ونجَّاك كِفَاحُهُم لكنتَ ضَيِّقَ الخِنَاقِ، ومع هَذَا إن نساء أمير المُؤمِنِينَ قد نَفَضْنَ العِطْرَ مِنْ غَدَائِرِهِنَّ، والحُلِيَّ من أيديهن وأَرْجُلِهِنَّ، فَبَعَثْنَهُ في أعطيةِ أوليائه.

وأمَّا ما نهيتَ عنه أميرَ المُؤمِنِينَ مِن قَطْعِ لَذَّاتِه، وبلوغ أوطاره من نسائه، فإن كُنَّ يَنْفَرِجْنَ عَلَى مثلِ أمير المُؤمِنِينَ[2] فهو غَيْرُ مجيبكَ إلَى ذَلِك، وإن كن يَنْفَرِجْنَ عَلَى مثل ما انْفَرَجَتْ عنه أُمُّكَ، فما أَحَقَّهُ أن يَقتدي بقولِك!

قاتل اللهُ الَّذي يقول إذ نظر إليك، وسِنان غزالة الحَرُورِيَّةِ بين كَتِفيك[3]:

أَسَـدٌ عَلَـيَّ وفي الحـروب نَعَامَـةٌ ... ربَـذْاءُ تَفْـزَعُ مِـنْ صَـفِيرِ الطَّـائِرِ[4]

---

(1) ابن ذات النطاقين: لقب عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(2) ينفرجن: أي: يلدن مثله.

(3) غزالة الحرورية من الخوارج الذين ضايقوا الحجاج في الحروب.

(4) ربذاء: من الربذة، وهو العهن يعلق في أذن الناقة، أو أذن النعامة.

هَـلَّا بَـرَزْتَ إلَـى غَزَالَـةٍ فِي الوَغَـا ... بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحَيْ طَائِرِ [1]

صَـدَعَتْ غَزَالَـةُ قَلْبَـهُ بِفَـوَارِسٍ ... تَرَكَـتْ مَنَـاظِرَهُ كَـأُسِّ الـدَّائِرِ [2]

ثم أَمَرَتْ جَارِيَةً لها، فَأَخْرَجَتْهُ، فدخل عَلَى الوليد، فقَالَ: ما كنتَ فيه يا حَجَّاج؟

قَالَ: يا أميرَ المُؤمِنِينَ، ما سَكَتَتْ حتَّى ظَنَنْتُ نفسي قد ذَهَبَتْ، وحتَّى كانَ بَطْنُ الأرضِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ ظَهْرِهَا، وما ظننتُ أن امرأةً تبلغ بلاغتَها، وتُحْسِنُ فصاحتَها.

قَالَ: إنها بنتُ عبد العزيز [3]!».

وقَالَ ابنُ الأعرابي: عَن المُفَضَّلِ الضَّبِّيِّ، قَالَ: «قَالَت الجمانة بنت قيس بن زهير العبسي لأبيها- لَمَّا شرق ما بينه وبين الربيع بن زياد في الدرع-: دعني أُنَاظِرُ جَدِّي، فإن صلح الأمرُ بينكما، وإلا كنتُ من وراء رأيكَ، فَأَذِنَ لها، فأتت الربيعَ، فقَالَت: إذا كانَ قيسٌ أبي، فإنك يا ربيعُ جَدِّي، وما يجب له من حق الأُبُوَّةِ عَلَيَّ إلا كالَّذي يجب عليك من حق البُنُوَّةِ لي، والرأيُ الصحيحُ تبعثه العنايةُ، وتجلي عَن محضِه النصيحة، إنكَ قد ظلمتَ قيسًا بأخذِ دِرْعِهِ، وأَجِدُ مكافأَتَهُ إياك سوءَ عَزْمِهِ، والمعارض منتصرٌ، والبادي أظلم، وَليس قيسٌ

---

(1) جناحي طائر: أي: مضطرب.

(2) يروى الدابر.

(3) وانظر «العقد الفريد» (5/ 36).

ممن يخوَّف بالوعيد، ولا يردعُه التهديدُ، فلا تَرْكَنَنَّ إلَى مُنَابَذَتِهِ، فالحزْمُ في مُتَارَكَتِهِ، والحربُ مُتْلِفةٌ للعباد، ذَهَابُهُ بالطارفِ والتلادِ[1]، والسِّلْمُ أرخى للبال، وأبقى لِأَنْفُسِ الرجال، وبحقٍّ أقولُ: لقد صدعتُ بِحُكْمٍ، وما يدفع قولي إلا غيرُ ذي فَهْمٍ، ثمَّ أَنْشَأَتْ تقولُ:

أَبِي لا يرى أن يَترُكَ الدهرَ دِرْعَهُ ... وجَدِّي يرى أن يأخذ الدِّرْعَ مِنْ أَبي
فَرَأْيُ أبي رأيُ البخيلِ بمالِه ... وشِيمَةُ جَدِّي شيمةُ الخائف الأَبِي

أَحمد بن الحارث، عَن المدائني، قَالَ: «أجمع أَهْلُ ميسان للمسلمين، وعَلَيهم الفليكان، فلقيهم المغيرةُ بنُ شُعبة بالمَرْغاب، فقَالَت أزدة بنت الحارث بن كلدة للنِّساء: إنَّ رجالنا في نحر العدو[2]، ونحن خُلُوفٌ، ولا آمَنُ أن يخالفوا إلينا، وليس عندنا مَن يمنعنا[3]، وأخرى أخاف أن يكثر العدو عَلَى المسلمين فيَهزمونهم، فلو خرجنا[4] لَأَمِنَّا ممَّا نخافُ من مخالفة العدو إلينا، ويظن المشركون أَنَّا عَدَدٌ ومَدَدٌ أَتَى المُسلِمِينَ، فيكسرهم ذَلِك، وهي مَكِيدَةٌ، فَأَجْبَنَهَا إلَى ما رَأَتْ، فاعتقدتْ لِوَاءً من خمارها، واتخذتِ النِّسَاءُ راياتٍ من خُمُرِهِنَّ، وأَمْضَيْنَ رَأْيَهُنَّ، ومَضَيْنَ وهِيَ أَمَامَهُنَّ، وهي تقول: يا ناصرَ الإسلامِ

---

(1) الطارف التلاد: أي: الحديث والقديم من المال.

(2) نحر العدو: أي في وسطه.

(3) من يمنعنا: أي: يحفظنا.

(4) أي: يخرجن من أخبيتهن خروجًا يوهم العدو أنَّهن مدد أتى جيش المسلمين.

صفًّا بعد صَفٍّ إن تُهْزَمُوا وتُدْبِرُوا عَنَّا نَخف، أو يَغلبوكم يَغمزوا فينا القُلَف[1].

قَالَ: فلما رأى العدوُّ الراياتِ قَالُوا: هَذَا عَدَدٌ ومَدَدٌ أتى العربَ، فانهزموا منهم».

إِسمَاعِيل بن مجمع أَبُو مُحَمَّد، قَالَ: قَالَ المدائني، عَن مسلمة بن محارب، قَالَ: «حَجَّ معاوية بن أبي سفيان، فأتى الجحفة أو الأبواء هو وأبو سلمة الفهري، فأتيا مِيَاهَ بني كِنَانَةَ حتَّى صارا إِلَى خباءٍ بفنائه[2] امرأةٌ عشمةٌ، فقَالَا؟ مَن القوم؟

فقَالَت: مِنَ الَّذين يقول لهم الشاعر:

هم مَنَعُوا جيشَ الأحابيش عَنْوَةً وهم نَهْنَهُوا عنها[3] غواةَ بني بَكْر

قَالَا: كوني ذُهْلِيَّةً.

قَالَت: ذُهْلِيَّة كنتُ.

قَالَا: هل مِنْ قِرًى؟

---

(1) **القلف:** من السيوف ما في طرف ظبته تحزيز، وله حدٌّ واحد. أو تقصد أن الكفار سيغتصبونهن إذا انهزم المسلمون؛ تقول ذلك تحفيزًا لهم على الاستبسال والجهاد.

(2) بفنائه: فانية من الكبر.

(3) نهنهوا: أي: زجروا وكفوا.

قَالَت: إيهًا الله، خبز خمير، وحَيْس فَطير[1]، ولبن يَمير، وماء نمير[2].

فنزلَا بها، فقدَّمتْ إليهما ما ذَكرَت.

فجعل معاويةُ يأخذ الفلذة[3] من الخبز بمثلها من الحَيْس، فيغمرها في اللبن، فلما فَرَغَ، قَالَ لها: حاجتك؟ فإني من أمير المُؤمِنِينَ بمكانٍ.

قَالَت: كَلَأَكَ[4] يا أميرَ المُؤمِنِينَ!

قَالَ: وما يُدريكِ أني أميرُ المُؤمِنِينَ؟

قَالَت: بشمائلك حين لَفَّتك الريحُ مُقبلًا.

قَالَ: أما إذا عرفتِ فاسألي!

قَالَت: حَلْقَى[5]! دُوني نساءَ الحَيِّ، أفلا تَعَمّهم؟!

قَالَ: سَلِي في نفسك!

قَالَت: صانكَ اللهُ يا أمير المُؤمِنِينَ أن تفحل واديًا[1] يرف أعلاه ويقف

---

(1) **الحيس**: تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن، **وفطير**: أَي: طَرِي.

(2) لبن يمير: أي يُقيت من القوت، وماء نمير: أي: عذب.

(3) الفلذة: أي: القطعة.

(4) كلأك: أي: حرسك.

(5) حلقى: أي: حلقت شعري وعُقرت، وهو دعاء تدعو به على نفسها إن طلبت شيئًا دون قومها.

أسفله.

قَالَ: نَادِي فيهم.

فنادت: أميرُ المُؤمِنِينَ بفنائكم!

فأتاه الأعراب بها، فقضى حوائجَهم، وفَضَّلَهَا عَلَيهم».

وحَدَّثَنَا عَبدُ الله بن شَبيب، قَالَ: حَدَّثَنِي عبد الرحمن بن عَبد الله الزهري بن عبد العزيز بن عبد الرَّحمن بن عوف، قَالَ: حَدَّثَنِي عيسى بن عَبد الله العلوي، قَالَ: «لما نزل معاوية بن أبي سفيان وادي الكرى، قَالَ لغلامه: ارحل لي جَمَلَ الصَّحوَات، وارحل معه من الإبل ما يُمَاسِطُهُ، ففعل، فَرَكِبَهُ، ورحل من أصحابه معه، فلما خرج من القرية حاد عَن الطريق، فإذا بيوتٌ من بيوت البادية، فَخَشَّ بينها، فإذا امرأةٌ بين سَجْفَيْنِ حسناءُ جَمْلَاءُ، فلما نظرتْ إليه، قَالَت: أمير المُؤمِنِينَ وربِّ الكعبة!

قَالَ لها: أتعرفينني؟

قَالَت: نعم.

قَالَ لها: ممن أنت؟

قَالَت من الَّذين قَالَ شاعرهم:

=

(1) تفحل واديا: أي: تعبر.

هُمْ دَفَعُوا حِلْفَ الأَحَابِيشِ عَنْوَةً وهُمْ مَنَعُوا عنكم غُوَاةَ بني بَكْرِ

قَالَ: أنتِ إذن من بني الحارث بن كنانة، فما تقولين في بني بَكْر؟

قَالَت: أُبْغِضُ صَغيرَها وكبيرَها، ولا آمن غَدْرَها وفُجورَها.

قَالَ: فهل عندكِ من قِرًى؟

قَالَت: نعم! خبز فطير، ولبن يمير، وحيس خمير، وماء هجير[1].

قَالَ: أخ أخ! أحضريني ما عندكِ، فجاءت به، فجعل يأكل من هَذَا مَرَّة، ومن هَذَا مَرَّة، ويخلط بينهما مَرَّة، وقَالَ لها: إني أرى لكِ عقلًا ورأيًا وبيانًا، فهل لكِ أن تَتْبَعِيني فتدخلي بيني وبين امرأة من قريش أحبها؟

قَالَت: كم لكَ يا أمير المُؤمِنِينَ؟ أو كم أتى عليك؟

قَالَ: ثلاث وستون سنةً.

قَالَت: أَصْبَحَتْ يا أميرَ المُؤمِنِينَ تَنظر في سِنِّكَ فتسوؤها، وتنظر في ذات يدِك فَيَسُرُّهَا، فهل عندك من شيء؟- (تريد الجماع)- قَالَ: نعم! قَالَت: لا حاجة بك إلَى أحدٍ يدخل بينك وبينها، فذَلِك يُرضيها عنك، فأعطاها، فأحسن ورحل».

وذكر ابنُ الأعرابي أن عمر بن الخطاب قَالَ: أيها النَّاس ما هَذِه الصداقات؟ (جمع صَدَاق، وهو مهر الزوجة) التي قد مَدَدْتُمْ إليها أيديكم؟ لا

---

(1) الهجير: الجيد من كل شيء.

يَبلغني أن أحدًا جاوز بِصَدَاقِهِ صداقَ النَبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، قَالَ: فقامت اليه امرأةٌ برزةٌ[1]، فقَالَت: ما جعل اللهُ لك ذَلِك يا ابن الخطاب، وقد قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿□ □ □ □ □ □ □ □نم﴾ [النساء:20] ، فقَالَ عمر: ألا تعجبون؟! أميرٌ أخطأ، وامرأةٌ أصابت! نَاضَلَ[2] أَمِيرُكم، فَنَضِل»[3].

مصعب بن الزُّبير، قَالَ: «قَدِمَتْ زينبُ بنتُ الزبير بن العوامِ[4] مَكَّةَ، فخطبها رجلٌ من بني أُمَيَّةَ- قد كَانَت هي وأُمُّهُ قبل ذَلِك عِند رجلٍ من قريش، فَأَبَتْ، فقِيلَ لها في ذَلِك، فقَالَت: أَكْرَهُ ثلاث خِلَالٍ: لم أكن لأرجع في أرضٍ هاجر منها آبائي، ولم أكن جئتُ عَلَى ظَهْرِ بَعِيرٍ لأتزوج، وما كنتُ لأكون

---

(1) امرأة برزة: متجاهرة في عفاف.

(2) أصابت ناضل: أي: دافع.

(3) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (14114).

وقال العَلَّامةُ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُٱللَّهُ: «فاعتراض المرأة عليه- أي: عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ- له طرقٌ لا تَخلو من مَقال؛ فلا تَصلح للاحتجاج، ولا لمعارضة تلك النُّصوص الثابتة المتقدم ذكرها، لا سِيَّما وأنه لم يُنقل عن أحدٍ من الصَّحابة مخالفة عُمر، أو الإنكار عليه غير ما جاء عن هذه المرأة». انتهى كلام الشيخ محمد بن إبراهيم بتصرف واختصار وبعض زيادات عليه. انظر «فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم» (10/187- 199).

(4) هي: زينب بنت الزبير بن العوام بن خويلد الأسدية، أمها أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكان تزويج الزُّبير لأمها بعد الهجرة، وتفارقا في عهد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بعد أن ولدت. انظر ترجمتها في: «الإصابة» (8/ 166).

كَنَّةً[1] بعد أن كنتُ ضرَّةً».

وقَالَ المدائني: لما أُهْدِيَتْ بنتُ عقِيلَ بن غلفة إلَى الوليد بن عبد الملك بن مروان، بعث مولاه له لتأتيه بخبرها قبل أن يدخل بها، فأتتها، فلم تأذن لها، أو كَلَّمَتْهَا فَأَحْفَظَتْهَا[2]، فَهَشَّمَتْ أنفَها، فرجعت إليه، فأخبرتْه، فغضب من ذَلِك، فلما دخل عَلَيها، قَالَ: ما أردت إلَى عجوزنا هَذِه! قَالَت: أردت- والله- إن كانَ خيرًا أن تكون أولَ من لقي بهجتَه، وإن كانَ شرًّا أن تكون أول من سَتَرَهُ».

وذكر هارون بن يزيد العبدي، عَن أبي زُهَيْر الرواسي، قَالَ: «لمَّا قُتل حول المُختار بن أبي عُبيد الثَّقفي من أهل بيته خمسون رجلًا، وانهزم الناس، فَمَرَّ أبُو مِحْجَن بأمِّ المختار، واسمُها دومة، فقَالَ: يا دومة! ارْتَدِّي خلفي، قَالَت: والله لأن يأخذني هَؤُلاء أحب إلي من أن أَرْتَدَّ خلفك».

وذكر أبُو عَبد الله بن الأعرابي، عَن المُفَضَّلِ الضَّبِّي، قَالَ: «كَانَت رقاش بنت عمرو بن صلب بن وائل عِند كعب بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة، فقَالَ لها يومًا: اخلعي دِرْعَك[3]!

قَالَت: خَلْعُ الدِّرْعِ بيدِ الزوج.

---

(1) الكنة: امرأة الابن أو الأخ.

(2) فأحفظتها: أي: أغضبتها.

(3) درعك: أي: قميصك.

قَالَ: اخلعيه لأنظر إليكِ.

قَالَت: التجردُ لغيرِ نِكَاحٍ مُثْلَةٌ»[1].

المدائني، قَالَ: «كانَ تميمٌ الدَّاري يبيع العِطْرَ في الجاهلية، وكان من لخم، فخطب أسماء بنت أَبي بَكر في جاهليته، فَمَاكَسَهُمْ في المهر[2]، فلم يُزَوِّجُوهُ، فلما جاء الإسلامُ جاء بعطرٍ يبيعه، فَسَاوَمَتْهُ أسماءُ، فَمَاكَسَهَا.

فقَالَت: طالما ضَرَّكَ مكَاسُكَ!

فلما عَرَفَهَا استحى، وسَامَحَها في بيعِه»[3].

المدائني، عَن مُحَمَّد بن علي، قَالَ: «كَانَت بنت سعيد بن العاص[4] عِند الوليد بن عبد الملك، فلما مات عبدُ الملك لم تَبْكِهِ، فقَالَ لها الوليد: ما يمنعكِ من البكاء عَلَى أمير المُؤمِنِينَ ولا مصيبة أَجَلُّ مِن فَقْده؟

قَالَت: وما أقول له إلا أن أسأل اللهَ أن يُحْيِيَهُ ويزيد في سُلطانه حتَّى

---

(1) وانظر «محاضرات الأدباء» (2/ 287)، و«مجمع الأمثال» (1/ 136).

(2) فماكسهم في المهر: أي: نقص الثمن في المهر، أو شاحهم من الشح.

(3) وانظر «محاضرات الأدباء» (2/ 756).

(4) هي: آمنة، ويقال: أمة بنت سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس كانت زوج خالد بن يزيد بن معاوية فطلقها فتزوجها الوليد بن عبد الملك لها. «تاريخ مدينة دمشق» (69/ 38).

يقتلَ أَخًا لي آخر.

قَالَ: إي واللهِ لقد كَسَرنا ثناياه، وقَتَلْنَاهُ.

فقَالَت: قد علمتُ من شُقَّت اسْتُه بالسَّيف.

قَالَ: الحقي بأهلك.

قَالَت: أَلَذُّ من الرَّفَاءِ والبنين»[1].

وقَالَ المدائني: تَزَوَّج مروانُ بن الحكم أُمَّ خالد بن يزيد بن معاوية، فقَالَ مروان- ذات يوم، وأراد أن يقصر به في شيء جرى بينهما-: يا ابن الرطبة! فقَالَ له خالد: أمينٌ مختبَر[2]، وأتى خالدٌ أُمَّهُ، فأخبرها الخبرَ، وقَالَ: أنتِ صنعتِ بي هَذَا، وأنشدها هجاءً هُجِي بها فيها:

أمـــا رأيـــتَ خالـــدًا يَهُمُّـــه ... إن سُـلِبَ المُلْـكُ ونِيكَـتْ أُمُّـه

فقَالَت له: دعه؛ فإنه لا يقولها بعد اليوم، فدخل عَلَيها مروانُ، فقَالَ: أَخْبَرَكِ خالدٌ بشيء؟ قَالَت: يا أمير المُؤمِنِينَ هو أشدُّ لكَ تعظيمًا من أن يذكر شيئًا جرى بينك وبينه، فلما أمسى وضعتْ عَلَى وجهه مرفقةً[3]، وقعدت عَلَيه

---

(1) «تاريخ مدينة دمشق» (69/ 40).

(2) أمين مختبر: أي: لا يكذب.

(3) مرفقة: أي: مخدة.

هي وجَواريها حتَّى مات، فأراد عبدُ الملك قَتْلَها، وبلغه رضخٌ[1] من فعلها، فقَالَت له: أما أنه لشدٌّ عليك أن يعلم النَّاسُ جميعًا أن أباك قتلته امرأةٌ، فَكَفَّ عنها، وكَانَت أمُّ خالد بنت أبي هاشم من ولد عُتبة بن ربيعة[2].

وقَالَ المَدَائنيُّ: «لما كَبِرَ يزيدُ ومَروان ابنا عبد المَلك من عاتكة بنت يزيد بن معاوية[3]، قَالَ لها عبد الملك: إنَّ ابنيكِ قد بلغا، فلو أشهدتِ لهما بميراثك من أبيك كَانَت لهما فضيلةٌ عَلَى سائر أخواتهما.

فقَالَت: اجمع لي شهودًا من مَوَالِيَّ ومَوَالِيك، قَالَ: فجمعهم، وأدخلَ معهم روح بن زِنْبَاع الجُذَامِي، وكَانَت بني أمية تُدخله عَلَى نسائها مَدَاخِلَ مشائخها وأهلها، وقَالَ له: رَغِّبْهَا فيما صَنَعْتُ، وحَسِّنْهُ لها، وأخبرْها برضائي عنها، فدخل عَلَيها فتكلَّمَ، ثمَّ قَالَ ما قَالَه عبدُ الملك، فقَالَت: يا روحُ! أتراني أخشى عَلَى ابني العَيْلَةَ[4] وهما ابنا أمير المُؤمِنِينَ؟ أَشْهَدتُكَ أني تَصَدَّقْتُ بمالي عَلَى فُقراء آل بني سفيان.

---

(1) الرضخ: خبر تسمعه ولا تستيقنه.

(2) ذكر نحوه ابن كثير في «البداية والنهاية» (8/ 256).

(3) هي: عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان. كان لها قصر بظاهر باب الجابية؛ وإليها تنسب أرض عاتكة، وهناك قبرها. وهي أم الخليفة يزيد بن عبد الملك، كان لها من المحارم اثنا عشر خليفة. وبقيت إلى أن قتل ابن ابنها الوليد بن يزيد. «تاريخ الإسلام» للذهبي (3/ 435).

(4) العيلة: الفقر.

قَالَ: فخرج القومُ، وأقبل روحٌ يَجُرُّ رجليه، فلما نظر عبدُ الملك قَالَ: أَمَّا أنا فأشهدُ أنكَ قد أقبلتَ بغير الوجه الَّذي أدبرتَ فيه.

قَالَ: يا أمير المُؤمِنِينَ، إني تركتُ معاوية بن أبي سفيان في الدِّيوان جالسًا- يريد أن عاتكة كجَدِّها مُعاوية في الدَّهاء- وأخبره الخبر.

قَالَ: فغضب عَلَيها عبدُ المَلك، وتَوَعَّدَها.

فقَالَ له روحٌ: مهلًا يا أمير المُؤمِنِينَ، فوالله لَهذا الفعلُ في ابنيها خيرٌ لك من مَالِها، قَالَ: فَكَفَّ عنها».

وقَالَ المَدَائِنِيُّ: أَرْسَلَ مَسْلَمَةُ بنُ عبد المَلك إلَى هند بنت المُهلب[1] يَخطبها عَلَى نفسه، فقَالَت لرسوله: واللهِ لو أَحْيا مَن قُتل من أهل بيتي ومَوالي ما طابت نفسي بتزويجه، بل كيف يَأْمَنُنِي عَلَى نَفْسِهِ، وأنا أذكر ما كانَ منه، وثأري عنده! لقد كانَ صاحبُك يُوصف بغير هَذَا في رأيه!».

وقَالَ مُصعب الزُّبيري: «خَطَبَ عبدُ المَلك بن مروان رَمْلَةَ بنت الزُّبير بن العَوَّام[2] فَرَدَّتْهُ، وقَالَت لرسوله: إني لا آمنُ نفسي عَلَى مَن قتل أخي، وكَانَت

---

(1) هي هند بنت المهلب بن أبي صفرة حَدَّثت عن أبيها، والحسن البصري، وأبي الشعثاء جابر بن زيد، ووَفَدَت على عمر بن عبد العزيز، وهي امرأة الحجاج بن يوسف الثقفي، لها ترجمة مُوسعة في «تاريخ مدينة دمشق» (70/ 191).

(2) رملة بنت الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية، تَزَوَّجها خالد بن يزيد بن معاوية، ونقلها إلى دمشق، وله فيها أشعار، وكانت جزلة عاقلة. =

أختَ مُصعب لأمه، كَانَت أُمُّهُمَا الكلبيَّة».

الأصمعي، عَن أَبَان بن تَغْلب، قَالَ: «مررتُ بأعرابيٍّ له امرأة حسنة الوجه، وكان دميمَ الخِلْقَةِ، وهو يَعلوها ضربًا، فقلتُ له: أتضرب مثلَ هَذَا الوجه الحَسَن؟

فقَالَت: أصلحكَ اللهُ! إنَّ له عذرًا، فدعه.

قلت: وما هو؟

قَالَت: قَدَّمْتُ إلَى اللهِ سَيِّئَتَيْنِ، فعاقبني عَلَيهما به، وقَدَّمَ إليه حسنةً، فجزاه بي!».

حَدَّثَنَا عَبدُ الله بن شَبيب، قَالَ: حَدَّثَنِي أبُو بكر بن أبي شيبة، قَالَ: حَدَّثَنِي عمر بن أَبي بَكر العذري، عَن عبد الرحمن بن أبي الزناد، وعن مخرمة بن سليمان الوالبي، قَالَ: «دخل عَبدُ الله بن الزبير عَلَى أُمِّهِ أسماء بنت أَبي بَكر في اليوم الَّذي قُتل فيه، فقَالَ: يا أُمَّه! خذلني النَّاس حتَّى أهلي وولدي، ولم يبق معي إلا اليسير ومَن لا دفع عنده أكثر من صبر ساعة من النهار، وقد أعطاني القومُ ما أردتُ من الدُّنيا، فما رأيكِ؟

قَالَت: إن كنتَ عَلَى حَقٍّ تدعو إليه فامض عَلَيه، فقد قُتل عَلَيه أصحابُك، ولا تُمَكِّن من رقبتك غِلمان بني أُمية فيتلعبوا بك، وإن قلتَ: إني

=

«تاريخ مدينة دمشق» (69/ 127).

كنتُ عَلَى حقٍّ، فَلَمَّا وَهَنَ أَصْحَابِي ضَعُفَتْ نِيَّتِي، ليس هَذَا فعلَ الأحرار! ولا فعلَ مَن فيه خيرٌ! كم خُلُودك في الدُّنيا؟ القتلُ أحسنُ ما نقعُ به!

يابنَ الزُّبَيْرِ، واللهِ لضربةٌ بالسيف في عِزٍّ أَحَبُّ إليَّ مِن ضربةٍ بسوطٍ في ذُلٍّ.

قَالَ لها: هَذَا- والله- رأيي، والَّذي قمتُ به داعيًا إلَى الله، واللهِ ما دعاني إلَى الخروج إلا الغضب لله عَزَّوَجَلَّ أن تُهْتَكَ مَحَارِمُه، ولكني أحببتُ أن أَطَّلِعَ عَلَى رأيك؛ فيزيدني قوةً وبصيرةً مع قوتي وبصريتي، واللهِ ما تعمدتُ إتيانَ مُنْكَرٍ، ولا عملًا بفاحشة، ولم أَجُرْ في حُكم، ولم أغدر في أمان، ولم يَبلغني عَن عُمَّالِي حَيْفٌ فَرَضِيتُ به، بل أنكرت ذَلِك، ولم يكن شيء عندي آثر من رضاء ربي.

اللّٰهُمَّ إني لا أقول ذَلِك تزكيةً لنفسي، ولكن أقوله تعزيةً لأمي لتسلو عني!

قَالَت له: والله إني لأرجو أن يكون عزاي فيك حَسَنًا بعد أن تَقَدَّمْتَنِي أو تَقَدَّمْتُكَ؛ فإن في نفسي منكَ حرجًا حتَّى أنظر إلَى ما يصير أمرُك.

ثمَّ قَالَت: اللّٰهُمَّ ارحم طول ذاك التَّحِيب، والظمأ في هواجر المدينة ومَكَّة، وبرَّهَ بأمه!

اللّٰهُمَّ إني قد سَلَّمْتُ فيه لأمرك، ورضيتُ فيه بقضائك، فَأَثِبْنِي في عَبدِ الله ثوابَ الشَّاكِرِين.

فَرَدَّ عنها، وقَالَ: يا أُمَّه! لا تَدَعِي الدُّعَاءَ لي قبل قَتْلي ولا بعده.

قَالَت: لن أَدَعَهُ لك؛ فمَن قُتِلَ عَلَى باطلٍ فقد قُتِلْتَ عَلَى حَقٍّ، فخرج وهو يقول:

أبى لابْنِ سَلْمَى أَنْ يُعير خَالِدًا ... مُلَاقِي المنايا أي صرف تَيَمَّمَا

فلستُ بمبتاعِ الحياة بِسُبَّةٍ ... ولا مرتقٍ من خشيةِ الموت سُلَّمًا

وقَالَ لأصحابه: احملوا عَلَى بركة الله، وليُشْغِل كُلُّ رجلٍ منكم رجلًا، ولا يَلهينكم السؤالُ عني؛ فإني في الرعيل[1] الأول، ثمَّ حمل عَلَيهم حتَّى بلغ بهم الحُجُونَ، وهو يقول:

لا عَهْدَ لي بِغَارَةٍ مِثْلِ السَّيْل ... لا يَنْقَضِي غُبَارُهَا حتَّى اللَّيْل

فرماه رجلٌ من أهل الشام بِحَجَرٍ عَلَى وَجْهِهِ، فارتعش منها، فدخل شِعبًا من تلك الشِّعاب[2] يستدمي، رأته مولاة له، فقَالَت: وا أمير المُؤمِنِينَ!

قَالُوا: أين هو؟ فأشارت إليه، فدخلوا، فقتلوه».

فأمَّا أَحمد الحارث فحَدَّثَنَا عَن المدائني بن مسلمة بن محارب أن ابن الزبير دخل عَلَى أُمِّهِ أسماء، وهي عَلِيلَةٌ، فقَالَ: يا أُمَّه! كيف تجدينِك؟

قَالَت: ما أجدني إلا شَاكِيَة.

---

(1) الرعيل: القطعة من الخيل القليلة.

(2) الشِّعْب: صدع في الجبل: أي: شق.

فقَالَ: يا أُمَّه! إن الموتَ لَرَاحَةٌ.

فقَالَت: يا بُنَيَّ لَعَلَّكَ تَتَمَنَّى مَوْتِي! فوالله ما أحب أن أموت حتَّى تأتي عَلَى أحد طرفيك، فإما أن تظفر بعدوك فتقر عيني، وإما أن تُقتل فأحتسبك[1].

قَالَ: فالتفتَ إلَى أخيه عُروَة وضحك، فلما كانَ في الليلة التي قُتل في صبيحتها دخل في السَّحَرِ عَلَيها[2]، فشاورها، فقَالَت: يا بُنَيَّ لا تَجْبُنَنَّ عَن خُطَّةٍ تخاف عَلَى نفسك فيها القتل، قَالَ: إنَّما أخاف أن يُمَثِّلوا بي!

قَالَت: يا بني، إن الشَّاة لا تَأْلَمُ السَّلْخَ بعد الذَّبح»[3].

أَخبرنَا أَحمد بن الحارث عَن أبي الحسن المدائني قَالَ: «أُتي هشام بن عبد الملك بجارية تُعرض عَلَيه، فأُعْجِبَ بها، فسام صاحبُها بها، فأبعد عَلَيه في السَّوْمِ[4].

فقَالَ له: لأعطينك بها أُعطيةً لم أبلغها بجارية قط، لك بها عشرة آلاف درهم، فأبى، وخرج بها، قَالَ: وتَبِعَتْهَا نفسُ هشام، وجعل لا يطيب بالزادة نفسًا، فأتى الأبرشَ الكلبي مولاها، فلم يزل حتَّى أخذها منه بثلاثين ألفًا،

---

(1) فأحتسبك عند الله أجرًا لي.

(2) السحر: قبيل الصبح.

(3) أورد القصة بطولها «الطبري» (3/ 539)، وابن الأثير (4/ 124)، وابن الجوزي (6/ 125) في «تواريخهم».

(4) السوم: وهو ما يقوم به البيع.

وأهداها إليه، فَسُرَّ بها، ولم يلبث أن جاءه مالٌ من ضِياعه فيه فضلٌ، فقسمه في أهله وولده، وبقيت عشرون ومائة ألف، فدعا امرأتيه أُمَّ حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاص[1]، وعبدةَ بنت عَبد الله بن يزيد بن معاوية، فبدأ بأمِّ حكيم، فقَالَ: مَن أحقُّ النَّاس بهَذَا المال؟

قَالَت: إن ذَلِك لغير بخيل؛ زوجتك، وبنت عمك؟ قَالَ: قد أَخَذَتْ حَقَّها.

قَالَت، فابنك وولي عهد المُسلِمِينَ وسَيِّد فِتيان قومك؟

قَالَ: قد أخذ حقَّه، فأقبل عَلَى عبدة، فقَالَ: هاتي ما عندك؛ فإنكم يا آل أبي سفيان تَدَّعُونَ فضيلةً في الرأي.

قَالَت: ما أبْين[2] ذاك! أحقهم به مَن جادَ لك بما بخلتَ به عَلَى نفسِك.

قَالَ: صدقِتِ، فبعث بالمال إلَى الأبرشِ، فلما استقلَّت البدورُ[3] عَلَى

---

(1) ترجم لها ابن عساكر ترجمة طويلة في «تاريخه» ذكر منها: «أم حكيم بنت يحيى، ويقال: بنت يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمها زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومية امرأة شاعرة تَزَوَّجها عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك فَطَلَّقها، ثم تزوجها هشام بن عبد الملك فولدت له يزيد بن هشام، وإلى أم حكيم هذه يُنسب سوق أم حكيم، وهو سوق القلائين وقصر أم حكيم الذي عند مرج الصفر» (70/ 229).

(2) أبين: أي: أظهر.

(3) **البدور:** البدرة هي كيس فيه دنانير.

أعناق الرِّجال نظر إليها هشامٌ، فقَالَ: هَذِه، ثمَّ أحسن منها ها هنا».

وقَالَ عَبدُ الله بن شَبيب عَمُّ الزُّبير، قَالَ: حَدَّثَنَا عُثمان بن عبد الرحمن، قَالَ: كَانَت الزَّمعية بنت كثير بن عَبد الله بن زمعة، عَن عَبد الله بن مطيع، ولم يذكر الخبر.

وقَالَ المدائني: قَالَ عَبدُ الله بن عوف لامرأته أم طلحة بنت مطيع بن الأسود: «إن نزلتِ من السرير فأنت طالق، فقبضتْ رِجْلَيْها، وقَالَت: لَأَرُدَّنَّ عليك سَفَهَكَ، ولأَقْطَعَنَّ طَمَعَكَ، وقَالَ الزُّبير: فقَالَ: سفهه والله لك فلان وفلان».

وحَدَّثَنِي عَبد الله بن شبيب، قَالَ: حَدَّثَنِي ابراهيم بن مُحَمَّد بن عبد العزيز، عَن أَبيهِ، قَالَ: «كَانَت عِند رجلٍ من آل أبي طالب، فأما المدائني فذكر أنه الحَسَن بن الحَسَن بن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ امرأة من قريش، فضَجَرَتْ عَلَيهِ يومًا، فقَالَ لها: أمرُكِ في يَدِك، أما والله لقد كانَ في يدكَ عشرين سنة، فحفظتَه، وأحسنتَ صُحبتَه، فلم أضيعْه إذ كانَ في يدي ساعةً من نهار، وقد رددتُ عليك حُمْقَكَ، قَالَ: حَمْقَةٌ والله! فأعجبه قولُها، فأحسن صحبتَها».

حَدَّثَنَا عَبد الله بن عمرو، قَالَ: حَدَّثَنِي مَسعود بن عمر، قَالَ: حَدَّثَنَا عمارة بن عقِيلَ، قَالَ: «كَانَت عندنا امرأةٌ باليمامة يقَالَ لها: أم أثال، وكَانَت من

أجمل النِّسَاء، فآمت[1] مِن زوجها، فخطبها أشرافُ أهل اليمامة، وكنتُ فيمن خطبها، فقَالَت -وكان لها ابنًا يقَالَ له: أثال، فَرَدَّتْ كُلَّ خَاطِبٍ من أجله-:

لَعَمْـرِي أَثَـالُ لا أفـدى بعينـه ... وإن كـانَ في بَعْـضِ المَعَـاشِ جَفَـاءُ

إذا استجمعت أُمُّ الفتى غَضَّ طرفَه ... وشـاعره دون الـدِّثَارِ بَـلَاءُ

قَالَ: وخطب عمران بن موسى بن طلحة هندًا بنت أسماء بن خارجة الفزاري، فَرَدَّته، وأرسلت اليه: إنِّي- والله- ما بي عنكَ رغبةٌ، ولكن لا أتزوج إلا مَن لا يُودى قتلاه[2]، ولا يُرَدُّ قضاؤُه، وليس ذَلِك عندَك».

حَدَّثَنَا عَبدُ الله بن أبي سعد، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّد بن أبي علي البَصري، قَالَ: حَدَّثَنَا نصر بن قديد الليثي، قَالَ: حَدَّثَنَا العلاء السعدي، عَن أَبيهِ، قَالَ: «حَجَّتْ أُمُّ حَبيب بنت عَبد الله بن الأهتم أو بنت عمرو بن الأهتم- الشك من ابن أبي علي- قَالَ: فبعث إليها الحَسَن بن علي بن أبي طالب-عَلَيهما السَّلام- فخطبها، فقَالَت: إني لم آتِ هَذِه البلد للتزويج، وإنما جئتُ لزيارة هَذَا البيت، فإذا قَدِمْتُ بلدي، وكَانَت لك حاجة، فشأنُكَ.

قَالَ: فازداد فيها رغبةً، فلما صارت إلَى البصرة أرسل إليها، فخطبها،

---

(1) فآمت: أي: صارت أَيِّمًا، والأيم: التي لا زوج لها.

(2) لا يودى قَتلاه: أي: لا يأخذ ديتهم مالًا، بل يقتل بهم رجالًا، أو المعنى إذا قتل أحدًا لا يأخذ الدية.

فقَالَ إخوتها: إنها امرأةٌ لا يُفتاتُ[1] عَلَى مثلِها بِرَأْيٍ، وأَتَوْهَا، فأخبروها الخبرَ، فقَالَت: إنْ تزوجني عَلَى حُكمي أجبتُه، فَأَدَّوْا ذَلِك إليه، فقَالَ: امرأةٌ من تميم أَتَزَوَّجُها عَلَى حُكمها؟! ثمَّ قَالَ: وما عسى أن يبلغ حُكْمُها لها؟! قَالَ: فأعطاها ذَلِك.

فقَالَت: قد حكمتُ صَدَاقَ أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بناته اثنا عشر أوقية، فتزوجها عَلَى ذَلِك، وأهدى لها مائةَ ألف درهم، فجاءت إليه، فبنى بها في ليلة قَائِظَةٍ عَلَى سطح لا حِظَار عَلَيه[2]، فلما غَلَبَتْهُ عَيْنُه أَخَذَتْ خِمَارَهَا[3]، فَشَدَّتْهُ في رِجْلِهِ، وشَدَّتِ الطرفَ الأخرى في رِجلها، فلما انتبه من نومه رأى الخمارَ في رِجله، فقَالَ: ما هَذَا؟

قَالَت: أنا عَلَى سِطح ليس عَلَيه حِظَار، ومعي في الدار ضَرائرُ، ولم آمَنْ عليكَ وَسنَ النَّوْمِ[4]، ففعلتُ هَذَا؛ لأنَّك إذا تَحَرَّكتَ تحركتُ معك!

قَالَ: فازداد فيها رغبةً، وبها عجَبًا، ثمَّ لم يلبثْ أن مات عنها.

فَكَلَّمُوهَا في الصُّلْحِ عَن ميراثه، فقَالَت: ما كنت لآخذ له ميراثًا أبدًا، وخَرَجَتْ إلَى البصرة، فبعث إليها نفرٌ يخطبونَها منهم: يزيدُ بن معاوية، وعَبدُ

---

(1) لا يفتات: أي: لا يفعل الأمر من غير مشورتها.

(2) **الحظار:** الحائط.

(3) خمارها: كل ما ستر شيئا فهو خماره.

(4) **وسن:** أخذه النعاس.

الله بن الزبير، وسعيدُ بن العاص، وعبدُ الرحمن بن عامر، فأتاها إخوتُها، فقَالُوا لها: هَذَا ابنُ أمير المُؤمِنِينَ، وهَذَا ابنُ عمةِ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم وآله، وهَذَا ابنُ حَوَارِيِّهِ، وهَذَا ابنُ عامر أمير البصرة، اختاري مَن شئتِ منهم، قَالَ: فَرَدَّتْهُم جميعًا، وقَالَت: ما كنت لأتخذ حموًا[1] بعد ابن بنت رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[2].

وقَالَ المدائني: أتى عُبَيدُ اللهِ بن زياد بامرأةٍ من الخوارج، فقطع رِجلَها، وقَالَ لها: كيف ترين؟

فقَالَت: إنَّ في الفكرِ في هَوْلِ المَطلَع لشُغْلًا عَن حديدتكم هَذِه.

ثمَّ قطع رِجْلَهَا الأخرى، وجَذَبَهَا، فوضعت يدها عَلَى فَرْجِهَا، فقَالَ: لتَسْتُرِينَهُ.

فقَالَت: لكن سُمَيَّةَ أمك لم تَكُنْ تَسْتُرُهُ».

حَدَّثَنِي أبُو صفوان البصري؛ مُحَمَّد بن أبي النعمان، قَالَ: حَدَّثَنِي أبُو مُحَمَّد العنبري، قَالَ: «خرج خالد بن يزيد حاجًّا، فَمَرَّ بأهل بيت من العرب من بني عامر بن صعصعة، فنزل بماءٍ لهم، فرأى جاريةً منهم أعجبتُه، فبعث إلَى أبيها،

---

(1) الحمو: أقارب الزوج.

(2) ذكر ابنُ كثير قصةً قريبة منها مختصرة في «البداية والنهاية» (8/ 38).

فخطبها، وزَوَّجَهُ عَلَى عشرة آلاف درهم، ثمَّ قَالَ: أَدْخِلُوهَا عَلَيَّ فِي أَطْمَارِهَا[1] التي رأيتُها فيها، فأُدخلت عَلَيه، فأعجبتْه، وأخذت بِقَلْبِهِ، فَأَكْرَمَهَا، وأخذ أَطْمَارَهَا[2] فَصَيَّرَهَا في صندوقٍ وقفل عَلَيها، وحملها إِلَى الشام، فدخل عَلَى عبد الملك فَحَدَّثَهُ حَدِيثَها، وما رأى من ظُرفها، فبعث عبد الملك إِلَى الأطمار لينظر إليها، فلما دخل الرسولُ بطلب الأطمار قَالَت الجارية: اجلس، فإن أمير المُؤمِنِينَ عزمني، ثمَّ كتبت إليه:

يـا ابـنَ الـذَّوَائِبِ مـن أُمَيَّـةَ والَّـذي ... صَـارَتْ إِلَيْـهِ خلافـةُ الجَبَّـارِ

فَـبِمَ اسْـتَفَزَّكَ خالـدٌ بحَدِيثـه ... حتَّـى هممـتَ بـأن تـرى أطمـاري

فلئن هَزِئْتَ بسحق ثوبٍ[3] نَاحِل ... إني لَمِـنْ قَـوْمٍ ذوي أَخْطَـارِ

لا يَبْطُـرُونَ لَـدَى اليَسَـارِ ولَا هُـم ... دَنُـسُ الثِّيَـابِ يُـرون في الأَعْصَـارِ

فـارْفُضْ بَطَالَـةَ خالـدٍ وحَدِيثَـه ... واحفـظ كريمـةَ معشـرٍ أخيـارِ

قَالَ: فلما قرأ شِعرَها وَصَلَهَا بمائة ألف درهم، وأوصى خالدًا بها»[4].

المدائني قَالَ: «قِيلَ لابنة النُّعمان بن المُنذر: في أيِّ شيء كَانَت لَذَّةُ أبيكِ؟

قَالَت: في الشَّرابِ، ومحادثة ذوي الألباب.

---

(1) جمع طمر، وهو الكساء البالي.

(2) أطمارها: جمع طمر، وهو الكساء البالي.

(3) سحق: من سحق الثوب أبلاه.

(4) «تاريخ مدينة دمشق» (70/ 292).

قِيلَ: فَصِفِي لنا ما كنتم فيه.

قَالَت: أُطيل أم أُوجز؟

قِيلَ: أَوْجِزِي.

قَالَت: أصبحنا والناسُ يَغبطوننا، فلم نُمْسِ حتَّى رَحِمَنا عَدُوُّنَا»[1].

حَدَّثَنِي حَمَّاد بن إسحاق، عَن أَبيهِ، عَن الفَضْل بن الرَّبيع، قَالَ: «قَالَ المَهدي للخَيزران[2] أُمِّ موسى وهارون- ابنيه-: إنَّ موسى ابنك يَتِيهُ[3] أن يَسألني حوائجَه!

قَالَت: يا أمير المُؤمِنِينَ ألم تكن في حياة المنصور لا تبتديه بحوائجك،

---

(1) «خزانة الأدب» (7/ 62)، «الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان» لابن أبي الدنيا (ص 62).

(2) **الخيزران:** زوجة المَهديِّ العباسي، وأمُّ ابنيه الهادي وهارون الرشيد: ملكة حازمة متفقهة. يمانية الأصل، أخذت الفقه عن الإمام الأوزاعي. وكانت من جواري المهديّ، وأعتقها وتزوجها.

ولما مات، وولي ابنها الهادي انفردت بكبار الأمور، وأخذ ت المواكب تغدو وتروح إلى بابها. وحاول الهادي منعها من ذلك حتى قال لها: إذا وقف ببابك أمير ضربت عنقه، وولي الرشيد هارون فحجَّت وأنفقت أموالًا كثيرة في الصدقات وأبواب البر. وتوفيت ببغداد، فمشى الرشيد في جنازتها، وعليه طيلسان أزرق، وقد شدَّ وَسطه بحزام، وأخذ بقائمة التابوت، حافيًا يخبُّ في الطين، حتى أتى مقابر قريش فغسل رجليه، وصَلَّى عليها، ودخل قبرها، وتصدّق عنها بمال عظيم. «الأعلام» لزركلي (2/ 327).

(3) يتيه: أي: يتكبر.

وتُحِب أن يبتدئك هو؟ فموسى ابنك كذَلِك يُحِبُّ منك.

قَالَ: لا، ولكن التِّيهَ يمنعه.

قَالَت: يا أمير المُؤمِنِينَ، فمِن أي ناحية أتاه التيهُ، أَمِن قِبَلِي أم مِن قِبَلِكَ؟».

الأصمعي، عَن أبان بن تغلب، عَن رجل سَمَّاهُ، قَالَ: «بينا أنا ذاتَ يوم بالبادية، فَخَرَجْتُ في بعض ليالي الظلم، فإذا أنا بجاريةٍ كأنها عَلَمٌ، فأردتُها عَلَى نفسها، فقَالَت: ويحك! أما لك زاجرٌ من عقل- إذا لم يكن لك ناهٍ من دين؟

قلت لها: واللهِ لا يرانا شيءٌ إلا الكواكب.

قَالَت: ويحكَ! فأينَ مُكوكبُها؟!»[1].

أَحمد بن الحارث، عَن المَدائني، قَالَ: «دَخَلَتِ امرأةٌ من بني مروان عَلَى عَبد الله بن عليٍّ بالشام، فَبَكَتْ، فقَالَ: مِمَّ تبكينَ؟ أَجَزَعًا لأهلِكِ عَلَى ما أصابهم؟

قَالَت لا، واللهِ، ولكنه ما كانَ يوم سرور إلا وهو رهنٌ بيوم مكروه».

وقَالَ غيرُ المدائني: «قَالَت: لا، ولكني رأيتُ نِعْمَتَكُمْ، وتَنَقُّلَهَا مِنَّا إليكم، وما امتلأتْ دارٌ حبرة إلا امتلأت عِبْرَة»[2].

---

(1) أخرجه البيهقي في «الشعب» (878).

(2) الحبرة: السُّرور. **والعبرة**: الدَّمعة قبل أن تفيض من العين، والمراد: الحزن.

حَدَّثَنِي أبُو العيناء، قَالَ: «كتبتُ إلَى قصرية أُحِبُّها، وأُوَاصِلُها، وبلغني أنها قَالَت: أبُو العيناء ظريفٌ، ولكنه أعمى قبيح، وقد ذكر لي غيرُه من البصيريين أن هَذَا الشِّعر لبعض السُّدوسيين وأنَّ الخبر له، والشِّعر:

وانثهـــا[1] لَمَّـــا رَأَتْنِـــي أَقْبَلَـــتْ ... تَعِيبُ وقَالَت: أَعْـوَر ناحـلُ الجِسْـمِ
فإن يكُ في وَجْهِي عُيـوبٌ وإن أَكُـنْ ... قبيحًـا فـإني غَيْـرُ عـيٍّ ولا فَـدم[2]
لِسَانِي وأَخْلَاقِي تُعْفِي عَلَى الَّـذي ... تَعِيبينَ مني فاسألي بي ذوي الحلـمِ

قَالَ: فَأَرْسَلَتْ إليَّ: أَوَللخصوم عِند القُضاة يراد الأحبابُ يا عاضَّ ما يكره؟!».

مُصعب بن عَبد الله بن الزبير، عن أبيه مصعب بن عُثمان، قَالَ: «قَالَت هند بن عتبة- حين أتى نعيُ يزيد بن أبي سفيان- وقَالَ لها بعض المُعَزِّين عنه: إنا لنرجو أن يكون في معاوية خَلَفٌ منه.

قَالَت: أَوَمِثل مُعاوية يكون خلفًا من أَحَد؟ واللهِ لو جُمعتِ العربُ من أقطارها، ثمَّ رُمي به فيها لخرج من أيِّها شاء»[3].

وقِيلَ لها: إنْ عاش معاويةُ ساد قوَمه.

---

(1) انثها: أفشى إليها.

(2) الفدم: من معانيه ضعف الفهم.

(3) «البيان والتبيين» (1/ 44).

فقَالَت: ثَكلْتُه[1] إن لم يَسُدْ إلا قَوْمَهُ[2].

حدثوني عَن العتبي عَن أَبيهِ، قَالَ: «حَدَّثَنِي بعض الأعراب، قَالَ: مررتُ يوم عرفة ببيت بطنبه[3] كبش مربوط، قَالَ: فسمعتُ رجلًا في البيت يقول، واسوأتي من ضيفينا هَذَا! أتانا وما عندنا ما نُقَرِّبُه إليه، فقَالَت له امرأته: أبا فلان! إياك أن تلقى اللهَ كَذَّابًا بخيلًا، أو ليست هَذِه شاتك مربوطة بفنائك؟ قَالَ: هَذِه نَسِيكَتِي[4] غدًا، قَالَت، وأَيُّ نسيكة أعظم أجرًا، وأحسن ذخرًا من ذبحك إيَّاها لضيفك؟!».

وقَالَ الجاحظ: «لما مات رقية بن مصقلة أوصى إلَى رجلٍ، ودفع إليه شيئًا، وقَالَ: ادْفَعْهُ إلَى أختي، فسأل الرجلُ عنها، فخرجت إليه، فقَالَ لها: أحضريني شاهدين أنك أخته، فأرسلت الجاريةَ إلَى الإمام والمؤذنِ ليشهدا لها، واستندت إلَى الحائط.

فقَالَت: الحمد لله الَّذي أبرز وجهي، وأنطق عيني، وشهر بالفاقة اسمي.

فقَالَ الرجل: شهدتُ أنك أختُه حقًّا، ودفع الدنانيرَ إليها، ولم يحتج إلَى شهادة مَن يشهد لها».

---

(1) أي: فقدتُه.

(2) «تاريخ مدينة دمشق» (59/ 65).

(3) **الطنب:** حبل يشد به سرادق البيت.

(4) نسيكتي: ذبيحتي.

حَدَّثَنَا الزبير بن بكار، قَالَ: حَدَّثَنِي عُثمان بن عبد الرحمن، قَالَ: «عَرَضَتْ عاتكةُ بنت عبد المَلك بن الحارث المخزومية- أم أدريس، وسليمان، وعيسى بن عَبد الله بن الحَسَن بن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- لأبي جعفر المنصور، وقد وافى حاجًّا، فصاحت: يا أمير المُؤمِنِينَ! احمل عني كَلَّك، أو أعني عَلَى حَمْلِهِ لك، معي بنو عَبد الله بن الحسين، صبيةٌ صغار لا مال لهم، وأنا امرأةٌ لست بذات مال، فأناشدك اللهَ أن نفارق احتمالَ ما يلزمك احتمالُه منهم عونًا لهم إلَى اطراحهم؛ فإني خائفة عَلَيهم إن فعلت[1] أن يَضيعوا.

فقَالَ: يا ربيع، من هَذِه؟

فنَسَبَهَا له، فقَالَ: هكذا ينبغي أن تكون نساؤهم، وأَمَرَ بِرَدِّ ضَيَاعِ أَبِيهم، وأَمَرَ لَهَا بألفِ دِينارٍ»[2].

---

(1) تريد أن تزوجت.

(2) أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (1/ 488).

وَمِنْ أَخْبَارِ ذَوَاتِ الرَّأْيِ والظُّرْفِ مِنهُنَّ

ما حَدَّثَنِيه الزُّبَيْر بن بكار، قَالَ: حَدَّثَنِي سليمان بن عبَّاس السعدي، قَالَ: كانَ كُثَيِّر بن عبد الرحمن يَلقى من يَحُجُّ مِن قُريش في كل سَنَةٍ بِهَدِيَّةٍ، فغفل سنةً عنهم حتَّى أصبح، ثمَّ ركب من منزله- بِكلبةَ- جملًا ثقَالًا، واستقبل الشمسَ في يومٍ صائف، فلم يأت قديدًا حتَّى احترق، وضجرَ، وجاءَ وقد راحَ النَّاسُ، فقَالَ فتًى من قريش: وتَخَلَّفْتُ، ومَعي رَاحِلَةٌ لي لا برد، ثمَّ الحق ثقلي[1]، فجاء كثيرٌ فجلس إلَى جنبي ولم يُسَلِّمْ، فجاءت امرأةٌ جميلة وَسيمةٌ، فاستندتْ إلَى خَيْمَةٍ من خِيَامِ قديدٍ، ثمَّ قَالَت: أنت كُثَيِّرُ بن أبي جُمعة؟ قَالَ: نعم، قَالَت: أنت الَّذي يقول:

وكُنْتُ إِذَا صَاحَبْتُ أَجْلَلْنَ ... وأَعْرَضَنَ عَنِّي هَيْبَةً لا تَجَهُّمَا[2]

قَالَ: نعم، قَالَت: أَفَعَلى هَذَا الوجه هَيْبَةٌ؟! إن كنتَ كاذبًا فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. قَالَ لها: من أنتِ؟ وحَدَّ[3] عَلَيها، وهي ساكنةٌ،

---

(1) الثقل: متاع المسافر وحشمه.

(2) أي: لا يتراجعن بعد التهيب من جهمت البئر تراجع ماؤها.

(3) غضب وبزق.

فقَالَ: لو أعلم من أنتِ لَقطعتكِ وقطعتُ قَوْمَكِ هِجَاءً، وسأل عنها المواليات بقديدٍ، فلم يُخْبِرْنَهُ من هي، فلما سَكَنَ قَالَت: أنتَ الَّذي يقول:

مَتَى تَنْشُرُوا عَنِّي العَمَامَةَ تُبْصِرُوا جَمِيلَ المُحَيَّا أَغْفَلَتْهُ الدَّوَاهِنُ

أَأَنْتَ جَمِيلُ المُحَيَّا؟! إن كنتَ كاذبًا فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. فضجرَ، وحَدَّ، وسكتتْ عنه حتَّى سَكَنَ، ثمَّ قَالَت: أنتَ الَّذي يقول:

يَرُوقُ العُيُونَ النَّاظِرَاتِ كَأَنَّهُ هِرَقْلِيٌّ[1] وَزْنٍ أَحْمَرُ التِّبْرِ وَازِنُ

أهَذَا الوجه يروق العيونَ؟! إن كنتَ كاذبًا فعليك لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين. فازداد ضجرًا، وحَدَّ، وقَالَ: قد أعلمُ مَن أنتِ، ولأقطعنكِ وقومَكِ هِجَاءً، وقام فالتفتَ، فإذا هي قد ذَهَبَتْ.

فقلتُ لمولاة من مواليات أهل قديد: لكِ اللهُ عَلَى أن أخبرتِني من هي أن أَطْوِيَ لك ثَوْبَيَّ هذين إذا قضيتُ إحرامي، وآتيكِ بهما، فأَدْفَعهُمَا إِلَيْكِ.

قَالَت: والله لو أعطيتَني وَزْنَهُمَا ذهبًا ما أخبرتُكَ مَن هي! هَذَا كُثَيِّرٌ، وهو مَولاي، وقد أبيتُ أن أُخْبِرَهُ مَن هي؟

قَالَ القُرَشِيُّ: فَرُحْتُ، وبي أَشَدُّ مِمَّا بِكُثَيِّرٍ»[2].

المدائني، قَالَ: «تزوج الوليدُ بن عبد المَلك في خلافته- تِسْعَ سنين-

---

(1) أي: دينار هِرقلي نسبة إلى هرقل من ملوك الروم.

(2) «الأغاني» (12/ 219).

ثلاثًا وسِتِّينَ امْرَأَةً، يُطَلِّق ويتزوجُ، حتَّى تزوج عاتكةَ بنت عَبد الله بن مُطيع، فلما دخل بها، وأراد أن يقوم أَخَذَتْ بِثَوْبِهِ.

فقَالَ لها: ما تريدين؟

قَالَت: إنا اشترطنا عَلَى الحمالين الرَّجْعَةَ؛ فما رأيُك؟

قَالَ: تقيمين، وأَمْسَكَهَا أربعةَ أشهر، ثُمَّ طَلَّقَهَا».

وقَالَ المدائني: عَن ابن جعدية: «كانَ في قريشٍ رَجُلٌ في خُلُقِهِ سُوءٌ، وفي يدِه سَمَاحٌ، وكان ذا مالٍ، فكان لا يكاد يتزوج امرأةً إلا فارقها لسوء خُلُقِهِ وقِلَّة احتمالِها، فخطب امرأةً من قريش جليلةَ القَدْرِ، وبلغها عنه سوءُ خُلُقِهِ، فلما انقطع ما بينهما من المَهْرِ، قَالَ لها: يا هَذِه! إنَّ فيَّ سُوءَ خُلُقٍ يعود إلَى احتمالٍ وتَكَرُّم، فإن كانَ بكِ عَليَّ صَبْرٌ وإلا فلستُ أَغُرُّكِ مِنِّي. فقَالَت له: إن أسوأَ خُلُقًا منكَ لَمَنْ يُحوجكَ إلَى سوءِ الخلق، وتزوجتْه، فما جرى بينهما كلمة حتَّى فَرَّقَ بينهما الموتُ»[1].

وقَالَ الهيثم بن عدي: عَن ابن عَيَّاش، عَن عبد الملك بن عمير: «إن عُثمان بن عفان لما تَزَوَّج نائلة بنت الفرافصةِ حُمِلَتْ إليه من الشَّامِ، فلما دخلت عَلَيه، قَالَ لها: لا تَكرهينَ ما رأيتِ مِن شَيْبِي.

فقَالَت: إني من نسوةٍ أَحَبُّ أزواجِهِنَّ إليهن الكَهْلُ السَّيِّدُ.

---

(1) «محاضرات الأدباء» (2/ 239).

قَالَ: إني قد جاوزتُ التَّكْهِيل، فأنا شيخٌ.

قَالَت: أبليتَ عُمْرَكَ في الإسلام ونصرة رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خيرِ مَا أُفْنِيَتْ فيه الأعمارُ.

قَالَ: أتقومين إليَّ أم أَقُوم إليكِ؟

قَالَت: ما قطعتُ إليكَ عرض السماوةِ[1] أكثر من عرض البيت، بل أقوم إليكَ.

قَالَ: اخلعي دِرْعَكِ.

قَالَت: أنتَ وذاكَ.

قَالَ: ولما قُتِلَ عُثمانُ كَثُرَ خُطَّابُهَا مِنْ قُرَيْشٍ، وكَانَت حسنةَ الثَّغْرِ، وكان فيمن خَطَبَها معاويةُ بنُ أبي سفيان، وهو خليفةٌ، فَدَقَّتْ ثَنَايَاهَا[2]، وقَالَت: أذاتَ ثَغْرٍ تَرَانِي بعد أبي عمرو رحمه الله؟ فأيستْ من نفسها الخُطَّابَ»[3].

وقَالَ المدائني: عَن مجالد عَن الشعبي، قَالَ: نَشَزَتْ[4] سكينةُ بنت الحسين- عَلَيه السَّلام- عَلَى عَبد الله بن عُثمان بن عَبد الله بن حزام،

---

(1) السماوة: تريد ما بين الشام والمدينة.

(2) أضراسها.

(3) «فصل المقال في شرح كتاب الأمثال» (ص 414).

(4) استعصت على زوجها، وأبغضته.

فدخلت أُمُّهُ رملة بنت الزبير عَلَى عبد الملك، فأخبرتْه بنشوزِ سكينة عَلَى ابنها، وقَالَت: يا أمير المُؤمِنِينَ! لولا أن نُبتزَّ أُمُورَنَا لم تكن لنا رغبةٌ فيمن لا يرغب فينا!

قَالَ: يا رملةُ! إنها سكينة!

قَالَت: وإن كَانَت سكينة، فوالله لَقَدْ وَلَدْنَا خَيْرَهُم، ونَكَحْنَا خَيْرَهُمْ.

قَالَ: يا رملةُ! غَرَّنِي منكِ عُروَة.

قَالَت: ما غَرَّكَ، ولكنه نَصَحَكَ أَنَّكَ قتلتَ أخي مُصْعَبًا، فلم يَأْمَنِّي عليكَ»[1].

قَالَ: «وقِيلَ لرملة بنت الزبير- أو لزينب بنت الزبير- ما بَالُكِ أهزل ما تكونين إذ قَدِم عليكِ زوجكِ؟ قَالَت: إن الحُرَّةَ لا تضاجع زوجَها بملء بطنها»[2].

وقَالَ: «خطب سعيدُ بن العاص عَائِشَةَ بنت عُثمان بن عفان، فقَالَت: لا أَتَزَوَّجُ بِهِ- واللهِ- أبدًا، فقِيلَ لها: ولم ذاك؟ قَالَت: لأنه أحمق، له برذُونَانِ أَشْهَبَانِ، فهو يَتَحَمَّلُ مَؤُونَةَ اثْنَيْنِ. واللونُ واحدٌ».

وقَالَ الزُّبير: «ذكر رجلٌ من قريش سُوءَ خُلُقِ امرأتِه بين يدي جاريةٍ له

---

(1) «تاريخ مدينة دمشق» (69/ 127).

(2) أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (1/ 391).

كانَ يَتحَظَّاهَا، فقَالَت له: إنما حظوظُ الإماءِ لسوء خَلَائِقِ النِّسَاءِ الحَرَائِرِ».

ابن الكلبي الكاتب، عَن سهل بن هارون بن رهبوبي، قَالَ: «عَزَّى المأمونُ أُمَّ الفضل بن سهل حين قُتِلَ، وقَالَ لها: لا تَجْزَعِي عَلَيه، ففيَّ خَلَفٍ لكِ مِنْهُ، ولن تَفقدي معي إلا وَجْهَهُ.

قَالَت: يا أميرَ المُؤمِنِينَ! كيف لا أجزعُ عَلَى ابنٍ أَكْسَبَنِي ابنًا مثلَك».

حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة، قَالَ: أخبرني عَبدُ الله بن عبد الرحيم، قَالَ: «لما طَلَّقَ عيسى بن علي بن عَبد الله بن العباس زينبَ بنت مُحَمَّد بن عَبد الله بن الحَسَن بن الحَسَن بن علي بن أبي طالب- عَلَيه السلام- أمر ابنتَه حَمَّادة أن تركب معها من منزله، حيث انتقلت إلَى منزلٍ نَزَلَتْهُ، فَمَرَّت بها بين قصر عيسى بن موسى، وقصر موسى بن عيسى بن موسى.

فقَالَت زينب: لمن هَذَان القصران؟

فأخبرتها حَمَّادة.

فقَالَت زينب: إني لأجدُ رائحةَ الدم- أو رائحة دَمِ أبي- من هذين القصرين.

فقَالَت لها حَمَّادة: قد أخذتِ دِيَةَ أبيكِ مَرَّاتٍ، فكُفِّي عَن هَذَا الكَلَام.

قَالَ: فكَانَت الخلفاءُ تصل حَمَّادةَ عَلَى كَلَامها لزينب».

وحَدَّثَنِي أبُو زيد عُمر بن شَبَّة، قَالَ: قَالَ عبد الرحيم: حَدَّثَنِي هاشم بن

مُحَمَّد الهلالي، قَالَ: «اختلف الحجاج وهند بنت أسماء بن خارجة الفزاري في بناتِ قين، فبعث إلَى مالك بن أسماء، فأخرجه من الحبسِ، وسأله عَن الحَدِيث، فَحَدَّثَهُ، ثمَّ أقبل عَلَى هند، فقَالَ لها: قومي إلَى أخيكِ.

فقَالَت: لا أقومُ إليه وأنت ساخطٌ عَلَيه.

فأقبل الحجاج عَلَى مالك، فقَالَ: إنكَ والله- ما علمتُ- لَلْخَائنُ لِأَمَانَتِهِ، اللئيمُ حَسَبُهُ، الزَّانِي فَرْجُهُ.

فقَالَت هند: إن أذن لي الأميرُ تَكَلَّمتُ.

فقَالَ: تكلمي.

فقَالَت: أما قولُ الأمير: الزاني فرجُه، فوالله لهو أحقرُ عِند الله وأصغرُ في عين الأمير من أن يجب لله عَلَيه حَدٌّ، فلا تقيمه، أما قول: اللَّئِيم حَسَبُهُ، فواللهِ لو علم الأميرُ مكانَ رجلٍ أشرف منه لصاهر إليه، وأما قول: الخائن أمانته، فوالله لقد وَلَّاهُ الأَمِيرُ فَوَفرَ، فأخذه بما أخذه به، فباع ما وراء ظهره، ولو مَلَكَ الدُّنيا بأسرها لافتدى بها من مثل هَذَا الكَلَام»[1].

وفي حَدِيث غير عمر بن شعبة: وما أقول هَذَا دفعًا عنه، ولا رَدًّا لقول الأمير فيه، ولكن لما يجب له من مَوْضِعِ الحُجَّة.

فأعجب ذَلِك الحجاجُ من قولها، قَالَ: فنهض الحجاج، وقَالَ لهند: شأنكِ

---

(1) «الأغاني» (17/ 232).

بأخيكِ.

قَالَ: ثمَّ دخل عَلَيه، وبين يديه- هَذَا عَلَى لفظ عمر بن شبة، قَالَ: مالك، وكَانَت بين يديه- عهودٌ فيها عَهْدِي عَلَى أصبهان، فقَالَ: خذ هَذَا العهد، وامضِ إلى عملِك، ونهضت، قَالَ: وهي ولايتُه التي عزله عنها، وبلغ به فيها ما بلغ».

حَدَّثَنِي مُحَمَّد بن سعد السامي، وأبو السكين زكريا بن يحيى بن عمر بن حصن بن حزين بن أوس بن حارثة بن لام، قَالَ مُحَمَّد بن سعد بن النوشنجاني، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبد الله بن صالح العجلي، وقَالَ أبُو السكين، وزاد في الحَدِيث، ونقص، ومعناهما واحد، قَالَا: جعل قومٌ جُعْلًا لبشر بن أبي حازم الأسدي- وكان عبدًا- عَلَى أن يهجو أوسَ بن حارثة بن لام، ففعل بِشْرٌ، فأرسل أوسٌ، فاشتراه، فدفعه إلَى رسوله، فقَالَ الرسول: غَنِّنَا، فكان قد تغنى الناسُ بما يصنع بك أوسٌ يَتَهَدَّدُهُ بذَلِك، قَالَ: فزجرَ الطَّيْرَ بِشْرٌ، فرأى ما يحبُّ، فأنشأ يقول:

أَمَا تَرَى الطَّيْرَ إِلَى جَنْبِ النِّعَم ... والعِيرَ في عانة في وادي السّلم

سَلَامةً ونِعْمَةً من النِّعَم

فقَالَ الرسول:

إِنَّكَ يَا بِشْرُ لَذُو وَهْمٍ وهَمّ ... في زَجْرِكَ الطَّيْرَ إِلَى جَنْبِ النِّعَم

أَبْشِرْ بِوَقْعٍ مِثل شُؤْبُوبِ الرَّهَم[1] ... وقَطْعِ كَفَّيْكَ وثنى بِالقَدَم

(1) الرهم: المطر الدائم.

وبِاللِّسَـــانِ بَعْـــدَهُ وبالأَشَـــم إن ابـن سـعدي ذُو عَـذَابٍ ونِقَـم

قَالَ: فلما أتى به، قَالَ: هجوتَني ظالمًا لي! أنت بين قطع لسانك، وحبسِك في سربٍ حتَّى تموت، أو قطع يديك ورجليك، وتخليةِ سبيلك، قَالَ: ثمَّ دخل عَلَى أمه جعدى- وقد سَمِعَتْ كَلَامه- فقَالَت له: يا بني! مات أبوك، فرجوتُك لقومكَ عامَّةً، فأصبحتُ أرجوك لنفسك خاصَّةً، وزعمتَ أنك قاطعٌ رَجُلًا هجاك، فمن يمحو ما قَالَه غيرُه، قَالَ: فما أصنع به؟ قَالَت: تكسوه حُلَّتَك، وتحمله عَلَى راحلتك، وتأمر له بمائة ناقة، قَالَ: ففعل ما أَمَرَتْهُ به، فقَالَت له: إنه الآن يمدحك، فيذهب مدحُك بهجائِه، وتَحمدُ مَغَبَّةَ رأيي، قَالَ: فمدحه بِشْرٌ، فأكثرَ، وكان مما مدحه به قوله حيث يقول:

إِلَـــى أَوْسِ بْـــنِ حَارِثَـــةَ بْـــنِ لَام لِيَقْضِـــي حَـــاجَتِي ولَقَـــدْ قَضَـــاهَا

فما وَطِئَ الحَصَى مِثْلُ ابْنِ سُعْدَى ولا لَـبِسَ النِّعَـالَ ولا احْتَـذَاهَا[1]

قَالَ إسحاق بن إبراهيم الموصلي: حَدَّثَنِي رستم العبدي، قَالَ: خرجتُ من مَكَّة زائرًا لقبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2]، فإني لَبِسُوقِ الجُحْفَةِ إذا جُوَيْرِيَةٌ

---

(1) أصل القصة في «خزانة الأدب» (4/ 403).

(2) قال العَلَّامةُ صديق حسن خان في «شرحه لصحيح مسلم» (5/ 113): «وأمَّا السَّفر لغير زيارة القبور كما تقدم نظائره- فقد ثَبَتَ بأدلة صَحيحة ووقع في عصره صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم، وقَرَّره النبيُّ- عليه السَّلامُ- فلا سبيلَ إلى المَنع منه والنهي عنه، بخلاف السَّفر إلى زيارة القبور فإنَّه لم يَقع في زمنه، ولم يُقِرَّ أحدًا مِن أصحابه، ولم يُشر في حديثٍ واحد إلى فِعله واختياره، ولم يُشرِّعه لأحدٍ من أُمَّته لا قولًا ولا فِعلًا، وقد كان رسول الله صلى اللهُ

تسوق بعيرًا، وتترنم بصوت شبج[1] حلو بهَذَا الشعر:

فَيَـا أَيُّهَـا البَيْـتُ الَّـذي حِيـلَ دُونَـهُ ... بنا أنت مِـنْ بَيْـتٍ وأهلك مِـنْ أَهْـلِ
بِنَـا أَنْـتَ مِـنْ بَيْـتٍ دُخُولُـكَ لَـذَّةٌ ... وظِلُّـكُ لَـوْ يُسْـطَاعُ بِالبَـارِدِ السَّـهلِ
ثَلَاثَـــةُ أَبْيَـــاتٍ فَبَيْـــتٌ أُحِبُّـــهُ ... وبيتانِ ليسا مِـنْ هَـوَايَ ولا شَـكْلِي

فقلت: لمن هَذَا الشعر يا جويرية؟

قَالَت: أما ترى تلك الكُوَّة التي عَلَيها الحمراءُ؟

قلت: أراها.

قَالَت: من هناك نَجم[2] الشعر.

فقلت: أَفَحَيٌّ قَائِلُه؟

قَالَت: هيهاتَ لو أنَّ لميتٍ أن يَرجع لطول غيبتِه كانَ ذَلِك، فأعجبني فصاحةُ لسانها، ورِقَّةُ ألفاظها.

فقلت: لكِ أَبَوَان؟

فقَالَت: فقدتُ أكبرَهما وأكثرهما وأَجَلَّهُمَا، ولي أُمٌّ.

= عليه وآله وسَلَّم يَزور أهلَ البَقيع وغيرَهم من غير سَفر ورِحلة إلى قُبورهم، فَسُنَّته التي لا غُبار عليها ولا شَنار فيها: هي زيارةُ القبور من دون اختيارٍ سَفر لها؛ لِتَذَكُّر الآخرة». اهـ.

(1) عال.

(2) ظَهَر.

قلت: فأين أُمُّكِ؟

قَالَت: منكَ بمرأًى ومسمع.

قَالَ: وإذا امرأةٌ تبيع الخرز عَلَى ظهر الربق بالجُحْفَةِ.

ثمَّ قَالَت: يا أم! شأنكِ، فاستمعي مِن عَمِّي ما يُلقي إليك.

فقَالَت: حَيَّاكَ الله! هيه[1]! هل من جائية بخير؟

قلت: هَذِه بُنَيَّتُكِ؟

قَالَت: كذا كانَ أبوها يقول.

قلت: أَتُزَوِّجِنيها؟

قَالَت: لِعِلَّةٍ مَا رَغِبْتَ فيها! فوالله ما لها جمالٌ، ولا لها مالٌ!

قلتُ: لحلاوة لسانِها، وحُسنِ عقلها.

قَالَت: أيُّنا أملكُ هي أم أنا؟

قلت: هي.

قَالَت: فإيَّاها فَخَاطِب.

قلت: تستحي أن تُجيب في مثل هَذَا.

قَالَت: ما هَذَا عندنا، أنا أَخْبَرُ بها.

---

(1) هيه: كلمة استزادة واستنطاق.

فقلت: يا جارية! أما تسمعين ما تقول أُمُّكِ؟

قَالَت: أسمعُ.

قلت: ما عندكِ؟ قَالَت: بحسبكَ أن قلت: تستحي في مثل هَذَا، فإذا كنتُ أستحي من شيء فلم أفعله، أتريدُ أن تكون الأعلى وأنا بساطك؟ لا- والله- لا يشدُّ عَليَّ رجلٌ حِوَاءَه، وأنا أجد مَذقةً[1] من لَبَنٍ أبدًا، ولا بعد أبدًا إن كانَ له بَعْدُ»[2].

وقَالَ الزُّبير: عَن عَبد الله بن مُحَمَّد المدني، قَالَ: ما رُؤِيَتِ ابنةُ عَبد الله بن جعفر الطيار ضاحكةً منذ تَزَوَّجها الحجاجُ.

فقِيلَ لها: لو تسليتِ؛ فإنه أمر قد وقع.

قَالَت: كيف، وَبِمَ؟ فوالله لقد ألبستُ قومي عارًا لا يُغسل دَرَنُهُ[3] بِغُسْلٍ.

قَالَ: ولما مات عَبد الله بن جعفر لم تبكِ عَلَيه.

فقِيلَ لها: ألا تبكين عَلَى أبيكِ؟

قَالَت، والله إن الحزن ليبعثني، وإن الغيظ ليُصْمِتُنِي».

---

(1) جرعة.

(2) «الأغاني» (22/ 316).

(3) وسخه.

وقَالَ إسحاق الموصلي: قِيلَ لحُبَّى المَدَنِيَّة: ما الجرح الَّذي لا يَنْدَمِل؟ قَالَت: حاجةُ الكريم إلَى اللئيم، ثمَّ لا يُجدي عَلَيه.

قِيلَ لها: فما الشَّرفُ؟

قَالَت: اعتقاد المِنن في أعناق الرِّجال يبقى للأعقاب»[1].

وقَالَ حماد بن إسحاق، عَن أَبيهِ، عَن المدائني، عَن أبي جعدبة، قَالَ: «كَانَت لأمية بن عَبد الله خالد بن أسيد مولاة جملية ظريفة يقَالَ لها: سكة، فمرت بثمامة العوفي، فقَالَ: تالله ما رأيتُ كاليومِ قَطُّ! لقد أقر اللهُ عَيْنَيْ مَن كُنْتُ ضَجِيعَهُ، وأحسن إلَى من كُنْتُ قَرِينَهُ، قَالَ: وبعث ابنَ أخيه في أثرها يخطبها إلَى نفسِه، فقَالَت: مَن أرسلك؟ قَالَ: عَمِّي، قَالَت: ومَن عَمُّكَ؟ ويحكَ! فَمِثلي لا يُخطب في الطريق، ولا يُخدع في الرسل، قَالَ: رجل من العرب يقَالَ له: ثمامة.

قَالَت: ما حِرْفَتُهُ؟

قَالَ: أَرْجِعُ إليه فَأَسْأَلُهُ.

قَالَت: شأنك، فما أعيا لسانك! فرجع إليه ابنُ أخيه، فأعلمه ما قَالَت، فقَالَ شعرًا وبَعث به إليها:

---

(1) أي: الرجل يَصنع معروفًا في رجلٍ آخر فيبقى له الفضل والمِنَّة عليه أبدًا، ويَذكره به الأولادُ والأحفادُ. والقصة ذكرها ابن ناصر الدمشقي في «توضيح المشتبه» (3/ 398).

وسَـائِلَةٍ مـا حِرْفَتِـي قُلْـتُ حِرْفَتِـي ... مُقَارَعَـةُ الأبطـالِ فِـي كُـلِّ مَـأْزِقِ[1]

وضَرْبِي طلى[2] الأبطـالِ بالسَّـيْفِ ... إذا زحفَ الصَّفَّانِ تَحْتَ الخَوَافِقِ[3]

إِذَا القَـوْمُ نَـادَوْنِي نـزال رأيتنِـي ... أمامَ رَعِيلِ الخَيْلِ أَحْمِي حَقَائِقِي[4]

أُصَـبِّرُ نَفْسِـي حـينَ لَا حُـرَّ صَـابِرٌ ... عَلَـى ألـمِ البـيضِ الرِّقَـاقِ البَـوَارِقِ

قَالَ: فلما قرأتِ الشعرَ قَالَت للرسول: قُل له: فديتُكَ! أنت أسدٌ، فاطلب لنفسك لَبُؤَةً، فإني ظَبْيَةٌ أحتاج إلَى غزالٍ!»[5].

حَدَّثَنِي حمَّاد بن إسحاق، عَن أَبيهِ، قَالَ: قَالَ الفضل بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب لرقية بنت معتب بن عتبة بن أبي لهب: «التمسي لي امرأةً إن قامت أَضْعَفَتْ، وإن مَشَتْ رَفْرَفَتْ، تروعُ من بعيد، وتفتِنُ من قريب، تَسُرُّ مَن عاشرت، وتُكرم مَن جاورت، وتَبُذُّ مَن فَاَخَرَتْ، ودودًا، ولودًا، قعودًا، لا تعرف إلا أهلَها، ولا تهوى إلا بعلَها، قَالَت: يا ابن عم! اخطب هَذِه إلَى رَبِّكَ في الجَنَّة بالعمل الصالح، فأما الدُّنيا، فما أحسبك تجدها فيها، ولو كَانَت لسُبِقْتَ إليها»!

وقَالَ المدائني: أخذ زيادُ بن أبيه امرأةً من الخوارج، فقَالَ: أما والله

---

(1) مضيق.

(2) رؤوس

(3) الرايات.

(4) نَزَالِ: اسم فعل، أي: انزل إلى الحرب. والرعيل القطعة المتقدمة من الخيل.

ويروى الشطر الأول من هذا البيت هكذا: إذا عرضت خيل لخيل رأيتني.

(5) «المستطرف في كل فن مستظرف» (2/ 486).

لَأَحْصُدَنَّكُمْ حَصْدًا، ولَأُفْنِيَنَّكُمْ عَدًّا.

قَالَت: كلا؛ إن القتل ليزرعنا.

قَالَ: فلما هَمَّ بقتلها تَسَتَّرَتْ بثوبها.

قَالَ: أتتسترين، وقد هتك اللهُ سترِكِ؟ وأَهْلَكَ قومكِ؟

قَالَت: إي- والله- أَتَسَتَّرُ، ولكن اللهَ أبدى عَوْرَةَ أُمِّكَ عَلَى لسانك إذا أقررتَ بأن أبا سفيان زنى بها، قَالَ: فأمر بقتلِها، فقُتِلَتْ».

قَالَ الأصمعي: حَدَّثَنِي رجلٌ من أهل البادية، قَالَ: رأيتُ امرأةً من قومي في وهدةٍ من الأرض قد ضُربتْ عَلَيها خباءً من شَعر، وبين يدي الخباء بُسَيْتِين[1] لها صغير فيه زرع لها، إذ غَيَّمَتِ السماءُ، فَأَرْعَدَتْ وأَبْرَقَتْ، ثمَّ جاء بردٌ، فأحرق الزرعَ، ثمَّ سكنت بعد قليل، فأخرجت رأسَها من الخباء، فَنَظَرَتْ إلَى الزرع قد احترق، فقَالَت- ورفعت رأسها إلَى السماء-: اصنع ما شئتَ؛ فإن رزقي عليك».

قال أبو عدنان: أَنْشَدَتْ عجوزٌ من أعراب بني كلاب، يقَالَ لها: أم معروف بيتًا أَنْشَدَنِيهِ إِسمَاعِيل بن الحكم، عَن أخيه عوانة بن الحكم أن عبد المَلك بن مروان مَرَّ بقبرٍ عَلَيهِ عَوْسَجَةٌ قد نبتتْ منه، فقَالَ: ما هَذَا؟ فقِيلَ: قَبْرُ مُعَاوِيَةَ بن أبي سفيان، فقَالَ مُتَمَثِّلًا:

---

(1) تصغير بستان.

هَـلِ الـدَّهْرُ والأيـامُ إلا كَمَـا أَرَى ... رَزِيَّـةُ مَـالٍ أو فِـرَاقُ حَبِيـبِ

وإِنَّ امْرَأً قد جَرَّبَ الدَّهْرَ لَمْ يَخَفْ ... تَقَلُّـبَ عصـريه لِغَيْـرِ لَبِيـبِ

فَـلَا تَيْأَسَـنَّ الـدَّهْر مِـنْ وُدِّ كَاشِـحٍ ... ولا تَـأْمَنَنَّ الـدَّهْرَ صَـرْمَ حَبِيـبِ[1]

قَالَ: فعارضتْني، فأنشدْتنِي:

إِذَا جَـاءَ مَـا لا بُـدَّ مِنْـهُ فَمَرْحَبًـا ... بِـهِ غَيْـرَ إِثْـمٍ أَوْ فِـرَاقِ حَبِيـبِ

فَقُلْتُ لَهَا: مَن يقول هَذَا؟

قَالَت: وما يدريني ما يجيء به الشعراء إلا أنها روايةٌ أرويها إذا سمعتُها.

قلتُ: فأنا أخبركِ من قَالَ ما أنشدتُك.

قَالَت: أَنْتَ أَرْوَى مِنِّي وأَكْرَمُ وأَشَدُّ تَتَبُّعًا لِلْأَخْبَارِ والأشعارِ، ولولا ذاك لم تكن مُعلم هَذِه الأناشيد، ولا هَذِه الأماثيل والأعاليب[2]، فَأَيُّ شيءٍ يكلفك هَذَا وليس فيه إلا العناءُ فقط، ولا يُعنيك اللهُ، ولا يتعبك؟

قلت: أنا مُتَهَوِّمٌ[3] بما تَرَيْن، فقَالَت: لو كنت تُصَلِّي الفترَ، وتصوم العَشْرَ كانَ أقرب لِذَاتِ الله عَزَّوَجَلَّ، فاجعل مكانَ هَذِه الروايات الصلواتِ الطيباتِ الزَّاكيات الطاهرات، وقرآنًا، وذِكرًا لربِّك، ومسألةً له، خيرًا من الدُّنيا مرارًا، فإنها متاعُ تَعِلَّةٍ، ودار غُرُورٍ.

---

(1) الكاشح: المضمر العداوة. **والصرم**: القطيعة.

(2) الأماثيل: ما يتمثل به من شعر أو حكمة. والأعاليل: ما يتلهى به.

(3) مفرط الشهوة.

قَالَ: أبُو عدنان: فسألتها عَن الفترِ.

فقَالَت: أن يُصَلِّي الإنسانُ العَتْمَةَ ويَتَفَتَّرُ ساعةً، ثمَّ يقوم فيصلي».

حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن حبب، قَالَ: «طلب قومٌ ابنَ هرمة الشاعرَ في منزله، فلم يجدوه، فقَالُوا لِبُنَيَّتِهِ: أَقْرِينَا، واذبحي لنا، فإنا ضيوفٌ، قَالَت: ما ذاك عندنا لكم، ولا تمكينا فيكم، قَالُوا: فأين قول أبيكِ:

لا أُمْتِـــعُ العُـــوذَ بالفِصَـــالِ ولا أَبْتَـــاعُ إِلَّا قَرِيبَـــةَ الأَجَـــلِ[1]

قَالَت: فذاك الَّذي أَفْنَى مالَه، ومَنعكم القِرَى، قَالَ: فتعجبوا لقولها، وحَدَّثُوا أباها حين لَقَوْه؛ فأعجبه جوابُها، فوهب لها بستانًا له».

المدائني، قَالَ: قَالَت خالدة بنت هاشم بن عبد مناف لأخٍ لها، وقد سَمِعَتْهُ تَجَهَّمَ[2] صديقًا له: أي أخي! تَطَلَّعْ من الكَلَام إلا ما قد رَوَأْتَ[3] فيه قبل ذَلِك، ومَزَجْتَهُ بالحِلم، ودَاوَيْتَهُ بالرفق، فإن ذَلِك أشبه بك.

فسمعها أبوها هاشم، فقام إليها، فاعتنقها وقَبَّلَهَا، وقَالَ: واهًا لكِ[4] يا قُبَّةَ الدِّيبَاجِ، فكَانَت تُلَقَّبُ بذَلِك».

حَدَّثَنِي مُحَمَّد بن سعد، عَن السجستاني، عَن العتبي، قَالَ: «جاءت رملة

---

(1) **العوذ:** الحديثات النتاج. **والفصال:** ولد الناقة إذ فصل عن أمه.

(2) أي: استتبله بوجه كريه.

(3) من روأ في الأمر، أي: تَعَقَّبه فلم يَعجل بجواب.

(4) واهًا: كلمة إعجاب، وتكون كلمة تلهف أيضًا.

بنت معاوية- وكَانَت عِند عمرو بن عُثمان بن عفان إِلَى أبيها- فقَالَ: يا بُنية! ما لكِ؟ أَطَلَّقَكِ زَوْجُكِ؟

قَالَت: الكلبُ أَضَنُّ بِشَحْمَتِهِ مِنْ ذَاكَ.

قَالَ: فما جاء بكِ؟

قَالَت: افتخر عَلَيَّ بكثرةِ قَوْمِهِ، وعَدَّ بَنِيَّ في قَوْمِهِ، فَوَدِدْتُ- واللهِ- أنهما في البَرِّ الأَخْضَرِ.

فقَالَ لها معاوية: يا بنية! آلُ أبي سفيان أشجى[1] بالرِّجال من أن تكوني كُنْتِ رَجُلًا»[2].

وذكر عَن أبي الخطاب الأزدي، أنه لما قُتِلَ مروانُ بن مُحَمَّد هجم عامرُ بن إِسمَاعِيل عَلَى الكنيسة التي فيها بنات مروان، ونساؤه، وقد أغلقن الأَبْوَابَ دُونَهُنَّ، فَصِحْنَ وَوَلْوَلْنَ، فأخذ الخَصِيَّ المُوَكَّلَ بهن، فسأل عَن أمره، فقَالَ: أمرني مَرْوانُ أن أضربَ رِقَابَ بَنَاتِهِ وجَوَارِيهِ إِذَا قُتِلَ، فجيء بِابْنَتَيْ مروان إِلَى عامر، فَسَلَّمَتْ عَلَيه الكبرى منهن بالخلافة.

فقَالَ: لستُ بالخليفة، ولكن خَالُه وعَامِلُه، فأمر عامرٌ بِرَأْسِ مَرْوَانَ، فوُضِعَ في حِجْرِ ابنتِه.

---

(1) أغلب وأقهر.

(2) «الأمالي» لأبي علي القالي (1/ 226).

فقَالَ: أتعرفينَه؟

قَالَت: نعم! هَذَا رأسُ أبي عبد الملك.

فقَالَ لها عامر: مَعذرة إلَى الله وإلى المُسلِمِينَ، إنما فعلتُ هَذَا بكِ قصاصًا كما فعلتم برأس زيد بن علي عَلَيه السلام، إذ وُضِع في حجر والدته، وكَانَت أُمُّهُ ريطةَ بنت عَبد الله بن مُحَمَّد بن الحنفية، فهَذَا ما فعلتم، والبادي أظلمُ.

ثمَّ وجه بهما وبجواري مروان إلَى صالح بن علي، فلما دخلن عَلَيه تكلمت بنتُ مروان الكبرى، فَسَلَّمَتْ عَلَيه بالخلافةِ.

فقَالَ: لستُ بالخليفة، ولكني عَمُّهُ.

فقَالَت: يا عَمَّ أميرِ المُؤمِنِينَ! حفظ اللهُ لك من أمرك ما تحب أن يحفظه، وأسعدك في الأمور كلها بخواص كرامته، وعَمَّكَ بالعافيةِ المُجَلَّلَةِ في الدُّنيا والآخرة! نحن بناتُك، وبناتُ أخيك، وابنِ عمك، فَلَيَسَعْنَا عدلُك.

قَالَ: إذًا لا يَسْتَبْقِي منكم أهل البيت أحدًا؛ رجلًا، ولا امرأة، ألم يقتل أبوكِ بالأمس ابنَ أخي الإمام في محبس حَرَّان؟

ألم يَقتل هشامُ بن عبد الملك زيدَ بن علي وصَلَبَهُ، وأمر بقتل امرأته، فقتلها يوسفُ بن عمر صَبْرًا؟

ألم يقتل الوليدُ بنُ يزيد يحيى بنَ زيد بخُراسان، وأحرقَ خشبتَه وجُثَّتَه؟

فما الَّذي استبقيتمْ مِنَّا أَهْلَ البيت؟!

فقَالَت: قد ظَفِرْتُمْ، فليسعْنا عَفْوُكم.

قَالَ: أما هَذَا فنعم! قد عفونا عنكم، وإن أحببتما زوجتُ إحداكما من الفضل بن صالح، والأخرى من عَبد الله بن صالح، وإن أحببتُما أن أُلحقكما بحيث شئتما من الأرض فَعَلْتُ.

فقَالَت: أصلح اللهُ الأميرَ، وأَيُّ أوانٍ عُرس هَذَا؟ بل تُلْحِقُنَا بحَرَّان.

فقَالَ القاسم بن وليد النخعي- كاتب عامر-: أنا توليتُ المجيءَ بهما إلَى صالح، وكنتُ قائمًا أسمع كَلَامهم إذ ارتج العَسْكَرُ، فإذا جاريةٌ من جواري مروان قد بلغها- وهي في رواق أبي عون- أن بنات مروان قد أُدخلن على صالح بن علي، فهتفتُ: يا ناعي مروان قد خُسِفَ القمرُ! يا ناعي مروان قد كُسِفت شمس النهار! فصحنَ جواري مروان بين حِجْرِ صالحٍ وأَرْوِقَةِ القوادِ، فأمر بإطلاقهن»[1].

أخبرني أبُو دعامة علي بن يزيد، قَالَ: دخل أبُو يوسف عَلَى الرشيد، وبين يديه جوهرٌ لا يُدرى أهو أَحْسَنُ أم وِعَاؤُهُ، فقَالَ: يا أمير المُؤمِنِينَ! ما صلح هَذَا مع كماله إلا أن تَخُصَّ به أُمَّ جعفر مع كمالها.

قَالَ: ويلكَ يا يعقوب! هَذَا جوهرُ الخلافة، ولا يصلح أن يُؤْثرَ به غيرها.

---

(1) «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (5/ 76).

قَالَ: وبلغ ذَلِك أُمَّ جعفر، فما شَعَرَ أبُو يوسف ونحن عنده إذ جاء خادمُ أُمِّ جعفر، فقَالَ: السيدةُ تَقْرَأُ عليك السلام، وتقول: أحسن اللهُ جَزَاءَكَ عَن وُدِّنَا ومَيْلِكَ إلينا، وقد كافأناكَ بالعاجلِ، فَأَدْخَل خَدَمًا يحملون التُّخُوتَ[1] والبدورَ والعِطْرَ في الصَّوَانِي، والجَوْهَرَ في الأَوْانِي، فَوُضِعَتْ بين يديه.

فقَالَ: أطال اللهُ بَقَاءَهُمَا، ولا أَعْدَمَنَا فَضْلَهُمَا.

ثمَّ قَالَ: إن السيدة- أَعَزَّهَا اللهُ- لا تبعث إلَى مثلنا بهديةٍ تبعصُنا بِرَدِّ الآنية، ولسنا نَشُكُّ أنها تكافئُ رُسُلَهَا عَنَّا، فانصرفوا عنه، فلما صاروا إلَى أُمِّ جَعْفَرَ أخبروها بما قَال.

قَالَت: صدق أبُو يوسف، وسوعته الآنيةَ كُلَّهَا.

قَالَ أبُو دعامة- وأقبل عَلَى جُلسائه- فقَالَ: إن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**من أُهْدِيَتْ إليه هدية فَجُلَسَاؤُهُ شُرَكَاؤُهُ فيها**»، والهدايا يومئذ مَأْكُولٌ ومشروبٌ لِقَحْطِ النَّاسِ، فأمَّا إذا صارت إلَى ما ترون، فهي للعقدِ، وذُخْرٌ لِلْوَلَدِ، ارْفَعْ يا غُلَامُ.

قَالَ: فما رؤي أَكْلَمَ، ولا أَعْلَمَ، ولا أَلْأَمَ مِنْهُ».

إسحاق الموصلي، عَن رجل من أهل المَدينة، قَالَ: «كنت في جنازة عَبد الله بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وإذا امرأة تقول: وا حَرَّاهُ عَلَيْكَ!

---

(1) جمع تخت، وهو وعاء يُصان فيه الثياب.

فسألتُ عنها، فقَالُوا: هَذِه أُمُّهُ، فدنوتُ منها.

فقلت: يا أم عَبد الله! إن عَبد الله كان بعض البشرِ.

فقَالَت: إن عَبد الله كانَ ظهرًا فَانْكَسَرْ، وأصبح أَجْرًا يُنْتَظَرْ، وإن في ثواب الله لعزاءً عَن القليل وجزاءً على الكثير».

وقَالَ إسحاق: قَالَ لُؤَيُّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر لزوجته مَاوِيَةَ بنت النعمان بن كعب: «أَيُّ بَنِيكِ أحبُّ إليكِ؟ قَالَت: الَّذي لا يَرُدُّ بَسْطَ يَدِهِ، ولا يَلْوِي لَسانَهُ عَجْزٌ، ولا يُغَيِّرُ طَبِيعَتَهُ سَفَهٌ، وهو أَحَدُ ولدِك، بارك الله لنا فيه!».

كعب بن لؤي بن غالب المَدائني، قَالَ: قِيلَ لرابعة المسمعية: «إن التزويج فَرْضُ الله عَزَّوَجَلَّ؛ فَلِمَ لا تتزوجين؟! فقَالَت: فَرْضُ الله قَطَعَني عَن فَرْضِهِ».

وقِيلَ لها: عَمِلتِ عملًا قَطُّ تَرين أنه يُتقبل منك؟

فقَالَت: إن كانَ شيء فمخافتي أن يُرَدَّ عليَّ.

قَالَ: ووهى منزلُها، فقِيلَ لها: لو كلمتِ السلطانُ في إصلاحه!

فقَالَت: والله ما أسألُ الدُّنيا من يَمْلِكُهَا فكيف أسألها من لا يَملكها؟!»[1].

قَالَ العمري: عَن الهيثم بن عدي، عَن ابن عياب، قَالَ: «قَالَ الحَجَّاجُ

(1) «وفيات الأعيان» (2/ 286).

لامرأةٍ من الخوارج، واللهِ لَأَعُدَنَّكُمْ عَدًّا، ولَأَحْصُدَنَّكُمْ حَصْدًا!

فقَالَت: أنت تحصدُ، والله يَزرعُ؛ فانظر أين قُدرة المَخلوق من قدرة الخالق؟!»[1].

حَدَّثَنَا الزُّبير بن بكار، قَالَ: حَدَّثَنِي يحيى بن مقداد الرفعي، عَن عمه موسى بن يعقوب، قَالَ: «دخل عبدُ الملك بن مروان عَلَى زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية، فرأى عندها امرأةً بَدَوِيَّةً، فأنكرها، فقَالَ: مَن أنت؟

قَالَت: أنا الواهة الحَرَّى ليلى الأخيلية، قَالَ: أنتِ التي تقولين:

أُرِيقَتْ جِفَانُ ابْنِ الخليعِ حِيَاضَ النَّدَى زَالَتْ بِهِنَّ المَرَاتِبُ[2]

فَعفَاؤُهَا لهفى يَطُوفُونَ حَوْلَهُ كما انْقَضَّ عَرْشُ البِئْرِ والوِرْدُ عَاصِبُ[3]

قَالَت: أنا الَّذي أقول ذَلِك.

قَالَ: فما أبقيتِ لنا؟

قَالَت: ما أبقى اللهُ لكم، نسبًا قرشيًّا، وعيشًا رخيًّا، وإمرةً مُطاعة.

قَالَت: أفردتِه بِالكَرَمِ!

---

(1) «البيان والتبيين» (ص 370)، «محاضرات الأدباء» (2/ 157).

(2) الجفان: جمع جفنة، وهي القصعة للطعام. والمعنى: أنَّ الكرم مات بموتِ تَوبة بن الحمير. والخليع: هو أحد أجداد توبة بن الحمير.

(3) عفاؤها: هو الضيف، وكل طالب إحسان.

قَالَت: أفردتُه بما انفرد به.

قَالَت عاتكة لعبد الملك: قد جاءت تستعينُ بنا عليك لتسقيها، وتحمي لها، ولست ليزيد إن شفعتها في شيء من حاجتها لتقديمها أعرابيًّا جِلْفًا جافيًا عَلَى أمير المُؤمِنِينَ.

قَالَت: فَوثبتْ لَيْلَى، فجلست عَلَى راحلتها، وقَالَت:

سَيَتَحَمَّلُنِي ورَحْلِي ذاتُ لوثٍ[1] ... عَلَيها بنتُ آبَاءٍ كِرَامِ
إِذَا جَعَلت سَوَادَ الشَّام[2] دُونِي ... وأُغْلِقَ دُونَهَا بَابُ اللِّئَامِ
فَلَيْسَ بِعَائِدٍ أَبَدًا إِلَيْهِمْ ... ذَوُو الحَاجَاتِ فِي غلسِ الظَّلَامِ
أَعَاتِكُ لَوْ رَأَيْتِ غَدَاةَ بنا ... سَلْوُ النَّفْسِ عَنْكُمْ واعْتِزَامِي[3]
إِذًا لَعَلِمْتُ وَاسْتَيْقَنْتُ أني ... مشيعةٌ ولم ترعى ذمَامِي
أَأَجْعَلُ مِثْلَ تَوْبَةَ فِي نَدَاهُ ... أَبَا الذبانِ فوه الدهر دامي[4]
مَعَاذَ اللهِ ما وخدتْ برجلي ... تفذ السَّيْرَ في البَلَدِ التِّهَامِي[5]

---

(1) قوة.

(2) أي: قراها، مُفردة قرية.

(3) غداة بنا، أي: صباح فارقناها.

(4) تريد عبد الملك، وقد كان أبخر.

(5) **وخدت** من الوخد: ضرب من السَّير. **تفذ** من الفذ، وهو الطرد الشديد. **التهامي** من اتهم الجلد: استوحمه. **والتهمة**: الأرض المنصوبة إلى البحر.

أقلت خليفة فَسِوَاهُ أحجي [1] بإمرته وأولى بالشآمي
لَنَا والملك حِينَ تُعَدُّ كَعْبٌ ذَوُو الأَخْطَارِ والخططِ الجِسَامِ

قَالَ: فقِيلَ لها: أَيَّ الكَعْبَيْنِ عَنَيْتِ؟

قَالَت: ما خِلْتُ كَعْبًا كَكَعْبِي»[2].

وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بن سعد، قَالَ: حَدَّثَنِي ابنُ عَائِشَة، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّاد بن سَلَمة، عَن عطاء بن السَّائب، قَالَ: أوصى إِلَيَّ رَجُلٌ بِتِرْكَتِهِ، وزعم أنه مولًى لآل علي بن أبي طالب عَلَيه السلام، قَالَ: فدخلتُ عَلَى أبي جعفر مُحَمَّد بن علي صلوات الله عَلَيه، وإذا هُوَ مَحْمُومٌ، وإذا جاريةٌ قد أَلْقَتْ عَلَيه ثوبًا مبلولًا، فإذا جَفَّ أَلْقَتْهُ عَنْهُ، وأَلْقَتْ عَلَيهِ ثَوْبًا آخر مَبْلُولًا، قَالَ: فقلتُ: يرحمك الله! إن من قبلنا من الأطباء يزعمون أن هَذَا يُهَيِّجُ الحُمَّى، قَالَ: فقَالَ: إنما أَلْتَمِسُ به بركةَ قَوْلِ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الحُمَّى فَيْحٌ**[3] **مِنَ الحَمِيمِ**»، أو قَالَ-: «**مِنَ السَّعِيرِ**»، أو قَالَ: «**مِنَ النَّارِ**»- «**فَأَطْفِئُوهَا بالماءِ البَارِدِ**». ما حاجتك؟

قَالَ: قلتُ: إنَّ رجلًا من أهل الكوفة أوصى إِلَيَّ بتركته، وزعم أنه مَوْلًى لكم، قَالَ: ما أعرفه أن لنا شَبَابًا، فلا تدفعه إليهم، قَالَ: ثمَّ دَلَّنِي عَلَى بِنْتٍ لِعَلِيٍّ، قَالَ: فدخلتُ عَلَى عجوزٍ عَلَى سريرٍ في بيتٍ رَثٍّ، وإذا سِقَاءٌ مُعَلَّقٌ، قَالَ:

---

(1) أولى وأجدر.

(2) «تاريخ مدينة دمشق» (70/ 62).

(3) غليان.

فقَالَت: أَيْ بُنَيَّ! ما يهديك[1]؟ فأنا بخير، ما حاجتك؟ قَالَ: قلت إن رَجُلًا من أهل الكوفة أوصى إِلَيَّ بتركته، وزعم أنه مولًى لكم، قَالَت: ما أعرفه، وإن مولًى لنا يقَالَ له: هرمز، أو كيسان، أخبرني أن رَسُول اللهِ صلى الله عَلَيه وسلم قَالَ: يا هرمز، أو يا كيسان! إن آل مُحَمَّد صلى الله عَلَيه وآله لا يأكلون الصدقةَ، وإن مولًى القومِ من أَنْفُسِهِمْ، وأنت فلا تأكلها، قَالَ: قلت: فما أصنع بتركته؟ قَالَت: ارجع إِلَى البلد الَّذي كنتَ فيه، فَاقْسِمْهُ بينهم».

وحَدَّثَنِي عَن النضر بن عمرو، قَالَ: «قَالَت امرأةٌ لكُثَيِّر: ما يدعوك إِلَى ما تقولُ في عَزَّة، وليست كما تصف، فلو صرفت رَأْيَكَ إِلَى غيرها مما هو أولى به منها أنا وأمثالي، فقَالَ:

إِذَا مَـا أَرَادَتْ خَلَّـةً كَـيْ تُزِيلَنَـا ... أَبَيْنَـا وقُلْنَـا الحَاجِيَّـةُ أَوَّلُ

سَـنُولِيك عُرْفًـا إِنْ أَرَدْتِ وِصَـالَنَا ... ونحـنُ لِتِلْـكَ الحَاجِيَّـةِ أَوْصَـلُ

قَالَت: واللهِ لَقَدْ سَمَّيْتَنِي خَلَّةً، وما أنا لك بِخَلَّةٍ، وعَرَضْتَ عَلَيَّ وَصْلَكَ، وأنا لا أريده، فَهَلَّا قُلْتَ كَمَا قَالَ جَمِيلٌ:

يَـا رُبَّ عَارِضَـةٍ عَلَيْنَـا وَصْـلَهَا ... بالجِـدِّ تَخْلِطُـهُ بِقَـوْلِ الهَـازِلِ

فَأَجَبْتُهَـا فِـي القَـوْلِ بَعْـدَ تَسَـتُّرٍ ... حُبِّـي بُثَيْنَـةَ عَـنْ وِصَـالِكِ شَـاغِلِي

لَـوْ كَـانَ فِي قَلْبِـي كَقَـدْرِ قُلَامَـةٍ ... فَضْـلٍ وَصَـلْتُكِ أَوْ أَتَتْـكِ رَسَـائِلِي

---

(1) من الهَدية، وهدية الأمر: جهته.

هَذَا- والله- الحبُّ، لا تَصْنِيعُكَ وتَذْوِيقُكَ»[1].

وحَدَّثَنِي عَن السِّجستاني، قَالَ: حَدَّثَنَا العتبي، قَالَ: «عَرَضَ عُتْبَةُ بن ربيعة أبا سفيان بن حرب وسُهيلَ بن عمرو عَلَى هندِ بنت عتبة، وكانا خَطَبَاهَا، فقَالَت: أَمَّا سُهَيْلٌ فلا حاجة لي بِالْأَهْوَجِ[2]؛ فإن امرأتَه إن أنجبت فَمِنْ حَظِّ مَا تُنْجِبُ، وإن أخطأتْ وأحمقتْ فبالحرى، قَالَ: ففي ذاك يقول سُهَيْلٌ:

وَمَـا هَـوجى يـا هِنْـدُ إِلَّا سَـجِيَّة ... أَجُـرُّ لهَـا ذَيْلـي بِحُسـن الخَلَائِـقِ
وإِنِّـي إِذَا مَـا حُـرَّةٌ سَـاءَ خُلُقُهـا ... صَـبَرْتُ عَلَيهـا صَـبْرَ آخِـرِ عَاشِـقِ

قَالَت: [وأَمَّا أَبُو سفيان فَبَعْل الفَتاة الخَريدة، الحُرَّة العَفيفة، وإني للتي لا أَريب له عَشيرة فتُغيره، ولا تُصيبه بذُعر فتضيره، وإني لأخلاقِ مِثل هذا لَمُوَافِقة؛ فَزَوِّجْنِيه][3]، وأَحْرِ بالسَّليل[4] بيني وبينه أن يَسُودَ قُرَيْشًا»[5].

حَدَّثَنِي مُحَمَّد بن سعد، قَالَ: حَدَّثَنِي السجستاني، قَالَ: حَدَّثَنَا العتبي، قَالَ: «خرج الحارث بن عوف المري خاطبًا إِلَى حارثة بنت أوس بن لام الطائي، فقَالَ لابنته: يا بُنَيَّةُ! هَذَا سَيِّدُ قومه قد أتاني خاطبًا لكِ، فقَالَت: لا حاجة لي

---

(1) «الشعر والشعراء» (1/ 500).

(2) الطويل في حمق.

(3) ما بين المعقوفتين زيادة من «العِقد الفريد» (7/ 94).

(4) الولد.

(5) وانظر «العقد الفريد» لابن عبد ربه الأندلسي (7/ 94).

فيه؛ إن في خلقي ضِيقًا صَبَرَ عليه القرباءُ، ولا يَصبر عليه البُعداءُ.

قَالَ: فقَالَ للتي تليها: قد سمعتِ ما قَالَت أختُكِ؟

قَالَت: زَوِّجْنِيهِ، فإني إن لم أَصلح للبُعداء لم أَصلح للقُرباء.

قَالَ: فَزَوَّجَهُ، وضرب عَلَيه قُبَّةً، ونحر له الجُزُرَ، فَمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهَا.

فقَالَت: ابنةُ أَوْس تَمُدُّ إليها اليدَ بحضرته.

قَالَ: فتحَمَّل بها، فلما كان بالطريق مَدَّ يده إليها، فقَالَت: ابنةُ أوس أردتَ أن تمتَّع بها في سَفَرك كما تَمَتَّعُ بِسُفرتكَ[1]؟

فَكَفَّ يَدَهُ، فلما حَلَّ فِي أَهْلِهِ وقعت الحربُ بين بني عَبْسٍ وذُبْيَان، فَمَدَّ يَدَهُ إليها، فقَالَت: لقد أخطأ الَّذي سَمَّاكَ سعيدًا! تمدُّ يدك إلَى النِّسَاء والقومُ يَتَنَاجَزُونَ؟!

قَالَ: فما وضع يده عَلَيها حتَّى أصلح بين قومه، وتَحَمَّلَ دِيَاتِهم، ثمَّ دخل بها، فَحَظِيَتْ عنده».

قَالَ: «خرج مُحَمَّد بن واسع في يوم عيدٍ، ومعه رابعةُ المسمعية، فقَالَ لها مُحَمَّد: كيف ترين هَذِه الهيئة؟

فقَالَت: ما أقول لكم؟ خرجتم لإحياءِ سُنَّةٍ وإِمَاتَةِ بِدْعَةٍ، فأراكم قد

---

(1) السفرة: طعام المسافر.

تَبَاهَيْتُمْ بالنِّعْمَةِ، وأدخلتم عَلَى الفقير مَضَرَّةً»[1].

قَالَ: «وكَانَت هندُ بنت المهلب تقول: إذا رأيتم النِّعَمَ مستدرةً فبادروا بالشُّكْرِ قبل الزَّوال»[2].

قَالَ ابنُ الأعرابي: «احترق بيتٌ لامرأة من العرب، فَأَلْقَتْ خِمَارَهَا عَلَى وجهها، وَغَطَّتْهُ به، فقِيلَ لها: مَا لَكِ؟

قَالَت: أكره أن أنظر إلَى يوم سُوء!».

وذكر إسحاق عَن الأصمعي، قَالَ: «دعت امرأةٌ من بني عامر عَلَى رَجُلٍ ظَلَمَهَا، فقَالَت: اللّهُمَّ اشْفِنِي به في الدُّنيا، فإني عنه في الآخرة في شُغل بنفسي».

يعقوب بن مُحَمَّد الزهري، عَن المغيرة، عَن عُروَة، عَن هشام بن عُروَة، عَن أَبيهِ، وذكر المدائني، عَن مُحَمَّد بن عبد الحميد الكناني، عَن فاطِمَة الخزاعية قَالَت: قَالَت عَائِشَة للنبي صلى الله عَلَيه وآله- ودخل عَلَيها-: «أين كنتَ يا رَسُول اللهِ صلى الله عَلَيه وسلم؟

قال: «**كنتُ عِند أم سلمة؟**».

قَالَت: أما تشبع؟ فَتَبَسَّمَ، وقَالَت: يا رَسُول اللهِ ﷺ لو مَرَرْتَ

---

(1) «نثر الدر» (4/ 73).

(2) «فضيلة الشكر لله على نعمه» (ص 58) للسامري، و«تاريخ مدينة دمشق» (70/ 192).

بقدوتين[1] إحداهما عافيةٌ[2] لم يَرْعَهَا أَحَدٌ، وأخرى قد رعاها الناسُ أيهما كنت تنزل؟

قَالَ: «**بالعافية التي لم يرعها الناس**».

قَالَت: فلستُ كَأَحَدٍ مِنْ نِسَائِكَ»[3].

قَالَ: قَالَت أم بزرجمهر: يا بني! رُكُوبُ الأهوالِ يأتي بالغَنَاءِ، وهو أَوْثَقُ أسبابِ الفَنَاءِ[4].

وقَالَ- يُسندونه إلَى عمر بن الخطاب-: نهى أبا سفيان بن حرب عَن رَشِّ باب منزله؛ لئلا يَمُرَّ الحاجُّ فيزلقون فيه، فلم ينته، ومَرَّ عُمَرُ فزلق ببابه، فعلاه بالدِّرَّةِ[5].

وقَالَ: ألم آمرْكَ أن لا تفعل هَذَا.

فوضع أَبُو سفيان سَبَّابَتَهُ[6] عَلَى فِيه.

---

(1) قدوتين، مثنى: قدوة، وهي الأصل تتشعب منه الفروع.

(2) تامة.

(3) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (8/ 80)، وفي سنده محمد بن عمر الواقدي متروك.

(4) «نثر الدر» (4/ 33).

(5) الدرة: ما يُضرب به.

(6) السبابة من الأصابع التي تَلي الإبهام لتحريكها عند السَّبِّ.

obeikandl.com

فقَالَ عمر: الحمد لله الَّذي أراني أبا سفيان ببطحاء مَكَّة أضربه فلا ينتصر، وآمرُه فيأتمر.

فَسَمِعَتْهُ هندُ بنت عتبة، فقَالَت: احمده يا عمر؛ فإنَّك إن تَحمدْه فقد أوتيت عظيمًا»[1].

وقَالَ الأصمعي: كانَ أعرابيٌّ عنده أربع نسوة: كِنْدِيَّةٌ، وغَسَّانِيَّةٌ، وشَيْبَانِيَّةٌ، وغَنَوِيَّةٌ، والأعرابي غَسَّانِيٌّ، وكُنَّ متظاهراتٍ عَلَى الغَنَوِيَّة، فجمع بينهن حتَّى تَشَاتَمْنَ، ثمَّ قَالَ: لتَقُلْ كُلُّ واحدة منكن قولًا تصف به نفسها، فقَالَت الكِنْدِيَّةُ:

كَـأَنِّي جَنَـى النَّحْـلِ والزَّنْجَبِيـل ... وصَـفْوَةُ المدَامَـةِ والسَّـبِيل
يـزينُ سَـنَا الوَجْـهِ لـي مبسـمٌ ... كمثـل اللآلـي وعـين كحيـلِ

وقَالَت الغَسَّانِيَّةُ:

بَرَانِـي إِلَهِـي إِلَـهُ السَّـمَاءِ ... نِصْـفًا قضـيبًا ونِصْـفًا كثيبًـا
وأَلْبَسَـنِي مَـا يَسُـوءُ الحَسُـودَ ... جَمَـالًا وملحًـا[2] وحُسْـنًا عَجِيبًـا

وقَالَت الشَّيْبَانِيَّةُ:

أَفَـوْقَ النِّسَـاءِ إِذَا مَـا اجْـتَمَعْنَ ... كَبَـدْرِ السَّـمَاءِ ونُجُـوم الـدُّجَى[3]

---

(1) «نثر الدر» (7/ 37).

(2) الملح: الملاحة والسمن.

(3) أي: كما يفوق البدر النجوم.

ويَقْصُرُ عَنِّي جَمِيعُ الصِّفَاتِ فَمَنْ نَالَنِي نَالَ فَوْقَ المُنَا

وقَالَت الغَنَوِيَّةُ:

تَزَوَّدْ بِعَيْنِكَ مِنْ بَهْجَتِي فَقَدْ خَلَقَ اللهُ مِنِّي الجَمَالَا

إِذَا مَا تَفَرَّسْتَ فِي رؤْيَتِي رأيتَ هِلَالًا وأحوى غَزَالًا[1]

قَالَ: عَزَّيْتُ أَعْرَابِيَّة عَن ابنها، فقَالَت: ما أسرعَ انْقِطَاعَ ما كانَ له مُدَّةٌ وفَنَاء، ما كانَ له وَقْتٌ وعِدَّةٌ، وإنما يأتي أمرُ الله بَغْتَةً، فإذا جاء فلا استعتابَ ولا رجعة، ولا امتناعَ منه بِجَلَدٍ ولا قوة.

الجاحظ قَالَ: قَالَت امرأةُ الحُطَيْئَةِ لِلْحُطَيْئَةِ حين تحول عَن بني رياح إِلَى بني كليب: بِئْسَ مَا اسْتَبْدَلْتَ مِنْ بَنِي رِيَاحِ بَعْرِ الكَبْشِ، تريد بذَلِك أنهم متفرقون؛ لأن بَعْرَ الكَبْشِ يَقَعُ مُتَفَرِّقًا[2].

(1) الأحوى: مَن به حوه، وهو سمرة في الشفة.

(2) «البيان والتبيين» للجاحظ (ص 50)، والذي فيه ابنتة الحطيئة، وليست زوجته.

أَخْبَارُ مَوَاجِنِ النِّسَاءِ ونَوَادِرُهُنَّ، وجَوَابَاتُهُنَّ

obeikandl.com

وَمِنْ جَوَابِ ظِرَافِ النِّسَاءِ

قَالَ الزُّبيرُ بن بَكَّار: قَال رجلٌ لجارية اعترضها- وكان دميمًا، فَكَرِهَتْهُ، فأعرضتْ عنه-: إنما أُريدكِ لنفسي! قَالَت: فَمِنْ نَفْسِكَ أَفِرُّ.

وقَالَ إسحاق: أخبرني الأصمعي، قَالَ: قَالَت امرأةٌ من بني نُمَيْرٍ عِند الموت: من الَّذي يقول:

لَعَمْـرُكَ مـا رِمَـاحُ بَنِـي نُمَيْـرٍ ... بِطَائِشَـةِ الصُّـدُورِ ولا قِصَـارِ

قَالُوا: زياد الأعجم.

قَالَت: فاشهدوا أن ثُلُثَ مالي له.

قَالَ: فحُمل ثلثُ مالها بعد موتها إلَى زياد[1].

قَالَ الجاحظ: قَالَ أبُو عُبيدة معمر بن المثنى، عَن أبي عمرو بن العلاء، قَالَ: «قَالَت امرأة من بني تغلب للحجاف بن حكيم- في وقعة البشر التي يقول فيها الأخطل-:

لَقَـدْ أَوْقَـعَ الحجـافُ بالبشـرِ وَقْعَـةً ... إلَـى اللهِ فيهـا المُشْـتكَى والمعـولُ

فَضَّ اللهُ عِمَادَكَ، وأكبى زنادَكَ، وأطال سُهَادَكَ، وأَقَلَّ زَادَكَ! فواللهِ إن

(1) «تاريخ مدينة دمشق» (19/ 147).

قتلتَ إلا نساء أسافلهن دمى، وأعاليهن ثدى، وكان قد قتلَ النِّسَاء والذُّرِيَّة، فقَالَ لمن حوله: لولا أن تلد مثلَها لاستبقيتُها، وأمر بقتلها، فبلغ ذَلِك الحسن البصري، فقَالَ: إنما الحجافُ جَذْوَةٌ من نار جهنم»[1].

قَالَ ابن الأعرابي: عَن السهمي، قَالَ: قَالَت أم عمير الليثية للعوفي في مجلس الحكم: «عَظُمَ رأسُك، فَبَعُدَ فَهْمُكَ، وطالت لحيتُك فَغَمرتْ قَلْبَكَ، وإذا طالت اللحيةُ انشمر العقلُ، وما رأيتُ ميتًا يقضي عَلَى الأحياء قبلَك»[2].

وحَدَّثَنِي أَحمد بن الحسين، قَالَ: حَدَّثَنِي من شهد مجلس سوار بن عَبد الله القاضي، وقد أتته امرأةٌ، فقَالَت: تعدني في النهار أن تقطع أمري، وتنفذ القضاء، فإذا جاء الليل اشتمل عليك فلان وفلان- فعددتْ رجالًا من أصحاب سوارٍ كانوا يغلبون عليه- فلفتوك عَن أمرك، وغلبوك عَلَى حُكمك، مَا لَكَ! أيتم اللهُ أولادك، وابتلاهم بحاكمٍ مِثْلِك! قَالَ: فما ردَّ عَلَيها جوابًا، ولا قَالَ لها شيئًا.

---

(1) كان الحجاف هذا من الخوارج، ولقد ضربت العربُ المَثَل في الفَتك بالحجاف بن حكيم السُّلمى فقالت : «أفتك من الحجاف»، وكان الحجاف قد جمع قومَه وسَار إلى البشر- وهو ماء لبني تغلب- فصادف عليه جمعًا من تغلب؛ فقتل منهم خمسمائة رجل، وتَعَدَّى الرجال إلى قتل النِّساء والولدان، فبلغ ذلك الحسن البَصري فقال: «إنَّما الحجاف جذوة من نار جهنم»، وأهدر عبدُ المَلك بن مروان دمَ الحجاف، فهرب إلى الروم، فكان بها سبع سنين. وانظر «نثر الدر» للآبي (4/ 73)، و«محاضرات الأدباء» (1/ 292).

(2) «نثر الدر» (4/ 73).

أَخبرنَا الزُّبير بن بكار قَالَ: أَخبرنَا مسلم بن جندب الهذلي، قَالَ: خرجتُ يومًا أنا وزياد نمشي إلَى العتيق، فلقينا نسوةً، فيهن جاريةٌ وضيئةٌ حسانةُ العينين، فقَالَ لي زياد: شأنك بها يا ابن الكرام، فسلامةُ جاريتي حُرَّة إن لم يكن دمُ أبيكَ في ثيابها، فلا تطلب أثرًا بعد عين، قَالَ: ثمَّ أنشدني قول أبي:

أَلَا يَـا عِبَـادَ اللهِ هَـذَا أَخُـوكُمْ ... قتيـلٌ فَهَـلَّا فـيكم اليـومَ ثَـائِرُ
خُـذُوا بِـدَمِي إن مِـتُّ كـل خَرِيـدَة ... مَرِيضَة جَفْن العَيْنِ والطَّرفُ سَاحِرُ

فأقبلتْ علي امرأةٌ معها حسناء، فقَالَت: أنتَ ابن جندب؟ قلت: نعم، قَالَت: أما علمتَ أن قتيلنا لا يُودى، وأسيرنا لا يُفك ولا يُفدى؟ اغتنم نفسَك، واحتسب أباك[1].

قَالَ: وقَالَ أبُو عمرو: سمعت عمرو أبا حفص الشامي، قَالَ: دخلتْ عَزَّةُ كُثَيِّر عَلَى عبد الملك، فقَالَ لها: أنتِ عَزَّةُ كُثَيِّر؟ قَالَت: أنا عزة بنت حمل، قَالَ: ترونَ قولَ كُثَيِّر:

وَقَـدْ زَعَمَـتْ أَنِّـي تَغَيَّـرْتُ بَعْـدَهَا ... ومَـنْ ذَا الَّـذي يَـا عَـزُّ لَا يَتَغَيَّـرُ
تَغَيَّـرَ جِسْـمِي والخليقـةُ كَالَّـذي ... عَهِـدْتِ ولـم يُخْبِـرْ بِسِـرِّكِ مُخْبِـرُ

قَالَت: لا، ولكني أروي وأعرف قوله:

---

(1) «العقد الفريد» (6/ 429).

كَأَنِّي أُنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَعْرَضَتْ ... مِنَ الصُّمِّ لَوْ تَمْشِي بِهَا العُصمُ زَلَّتِ
صَفُوحًا فَمَا تَلْقَاكَ إلا بِحِيلَةٍ ... فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ الوَصْلَ مَلَّتِ

قَالَ: فأمرها تدخل عَلَى عاتكة، فقَالَت: أخبريني عَن قول كُثَيِّر:

قَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ فَوَفَّى غَرِيمَهُ ... وعَزَّةُ مَمْطُولٌ مُعَنًّى غَرِيمُهَا[1]

ما هَذَا الدَّيْنُ الَّذي كنتِ وعدتِه؟ قَالَت: كنتُ وعدتُه قُبْلَةً فلم أَفِ له بها، قَالَت: انجزيها له، وعَلَيَّ إِثْمُهَا![2].

المدائني، قَالَ: «قَالَ رجل من كلبٍ لامرأته لما دخل بها: ما أهزلك! قَالَت: هَزلِي أَوْلَجَنِي بَيْتَك»[3].

---

(1) قضى الدَّين: وفاه. الغريم: الدَّائن. مَمْطُول: مُسَوف، أي: يُوعد بالوفاء مَرَّة بعد مَرَّة. ومُعَنًّى: مُعَذَّب. يقول: لقد وفى كُلُّ ذي دَيْن غَريمَه حَقَّه إلا عزة؛ فإنَّها تماطل موعودها، وتُعَذِّبه فيما وعدتَه.

(2) «تاريخ ابن عساكر» (69/ 283)، ولكن القائل لها أم البنين؛ أخت عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال اليافعي في «مرآة الجنان وعبرة اليقظان» (1/ 176): «وذكر بعضُ العُلماء في بعض التَّصانيف: أنَّ أُمَّ البَنين المذكورة أعتقت كذا وكذا مِن رَقبة عن هذه الكلمة التي صَدَرت منها».

قضى الدين: وفاه. الغريم: الدائن. ممطول: مسوف، أي يوعد بالوفاء مرة بعد مرة. معنى: معذب. يقول: لقد وفى كل ذي دين غريمه حقه إلا عزة فإنها تماطل موعودها وتعذبه في ما وعدته.

(3) «نسب معد» لابن الكلبي (ص 136)، وسَمَّاها: بنت جُلي بن حوط بن عبد عامر بن =

المدائني، عَن عجلان مولى عباد، قَالَ: «كنت عِند عبد المَلك بن مروان، فأتاه حاجبُه، فقَالَ: يا أميرَ المُؤمِنِينَ! هَذِه بُثَيْنَةُ بالباب، قَالَ: بُثَيْنَةُ جَمِيل؟ قَالَ: نعم، قَالَ: أدخِلها، فدخلت، فإذا امرأةٌ طويلة، فعلم أنها قد كَانَت جميلةً، فقَالَ عبد الملك: ويحكِ يا بُثَيْنَةُ ما رجا فيكِ جَمِيلٌ حين قَالَ فيكِ ما قَالَ؟ قَالَت: الَّذي رَجَتْه مِنْكَ الأُمَّةُ حين وَلَّتْكَ أُمُورَهَا، قَالَ: فما رَدَّ عَلَيهَا عبدُ الملكِ كَلِمَةً»[1].

المدائني، قَالَ: كَانَت بنت هرم بن سنان عِند عَائِشَة أم المُؤمِنِينَ، فدخلت عَلَيها صَبِيَّةٌ تسأل، فقَالَت: ما لي لا أرى عليكِ آيُ السؤالِ؟ قَالَت لها: إني بنتُ زُهير بن أبي سلمى، فقَالَت لها بنت هرمٍ: أوما أعطى أبي أباكِ ما أغناه؟ قَالَت: إن أباكِ أعطى أبي ما فَني، وإن أبي أعطى أباكِ ما بَقِي[2].

وقَالَ: مَرَّت امرأةٌ مُنْخَرِقَةُ الخُفِّ بِرَجُلٍ، فأراد أن يُمازحَها، فقَالَ: يا امرأة! خُفُّكِ يُضحك، فقَالَت: إذا رأى كَشْخَانًا[3] مثلك لم يملك نفسه ضَحِكًا.

حَدَّثَنِي عَبدُ الله بن أَحمد البصري، قَالَ: حَدَّثَنِي أبي، عَن المعدل بن

=

الحارث بن خَيبرُي الطائي.

(1) «تاريخ مدينة دمشق» (69/ 58).

(2) ذكر نحوه القلقشندي في «صبح الأعشى» (14/ 197).

(3) **الكشخان:** الديوث الذي لا غيرة له.

غيلان أنَّ امرأة من بني نعيم مَرَّت ومعها ديكٌ لها، فأتبعوها أبصارهم، فقَالَت: لا نَظَرَ اللهُ إليكم برحمةٍ! فوالله ما أطعتم اللهَ فيما أمركم به من غَضِّ الأبصار، إذ يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور:30]، ولا أطعتم جَرِيرًا حيث يقول لكم:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ ... فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ ولَا كِلَابَا

فقَالَ لها رجلٌ منهم: ما هَذَا الديكُ الَّذي معكِ، فقَالَت:

هُوَ البَازِي المُطِلُّ عَلَى نُمَيْرٍ ... أتيحَ مِنَ السَّمَاءِ لها انْصِبَابًا

إذا عَلقَتْ مَخَالِبُهُ بِقَرْنٍ ... أَصَابَ القَلْبَ أَوْ هَتَكَ الحِجَابَا

قَالَ، ثمَّ مَرَّت مسرعةً، فصاح بها رجلٌ منهم من خلفها عظيم البطن: ما أنتِ كما قَالَ الشاعر[1]:

كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا ... مَرُّ السَّحَائِبِ لا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ

قَالَت: وأنت- والله- يا عظيم البطن ما أنت كما قَالَ الشاعر:

مُهَفْهَفٌ ضَامِرُ الكَشْحَيْنِ مُنْخَرِقٌ ... عنهُ القَمِيصُ لِسَيْرِ اللَّيْلِ مُحْتَقِرُ[2]

تَكْفِيهِ حُزَّةُ فِلْذٍ إِنْ أَلَمَّ بِهَا ... مِنَ الشِّوَاءِ ويُرْوِي شُرْبَهُ الغَمَرُ[3]

---

(1) هو الأعشى، وهو في ديوانه.

(2) **المهفهف:** الخميص البطن الدقيق الخصر. **الكشح:** ما بين الخاصرة إلى الضلع. والعرب تمدح الهزال وتذم السمن.

(3) **الحزة:** القطعة من اللحم قُطعت طُولًا. **والفلذ:** كبد البعير. **الغمر:** أصغر الأقداح.

المدائني، قَالَ: أشرفت امرأةٌ لروح بن زنباعٍ يومًا تنظر إلى وَفْدٍ من جُذَامٍ قدموا عَلَى روح، فزجرها رُوحٌ، فقَالَت له: والله إني لأبغضُ الحلالَ من جُذَامٍ، فما حاجتي إلَى الحرام فيهم؟!

المدائني، قَالَ: مَرَّ الفَرَزْدَقُ راكبًا عَلَى بغلةٍ حتَّى وقف عَلَى دار قومٍ، وإذا امرأةٌ مُشْرِفَةٌ عَلَيْهِ، فنظر إليها الفرزدقُ وهي تضحكُ، وقد ضرطتْ بغلتُه تَحْتَهُ، فقَالَ: ما أضحككِ؟ فو الله ما حملتني أنثى قَطُّ إلا وضرطتْ! قَالَت: يا أبا فِراس! فَلِأُمِّكَ الهَبَلُ إذًا والخِزْيُ؛ فإنها حملتْكَ تسعة أشهر، فكَانَت في ضراطٍ إلَى أن وَضَعَتْكَ، قَالَ: فَأَفْحَمَتْهُ[1].

قَالَ: قَالَ هشام بن الكلبي: عَن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عَن أَبيهِ، عَن الشعبي، قَالَ: أمر عمرو بن معدي كرب امْرَأَتَهُ أُمَّ ثروان أن تطبخ له كبشًا، فجعلت تطبخُ، وتأخذ عضوًا عضوًا حتَّى أتت عَلَى الكبشِ، واطَّلعت في القِدْرِ فإذا ليس فيها إلا المرق، فأمرت بكبشٍ، فذُبِحَ وطبختْه، ثمَّ أقبل عمرٌو، فَثَرَدَتْ له في الجَفْنَةِ التي تعجن فيها، ثمَّ كفأت القدرَ، فدعاها إلَى الغذاء، فقَالَت: قد تغذيتُ فَتَغَذَّ، ثمَّ اضطجعَ، فدعاها إلَى الفراش فلم يصل إليها، فأنكر ذَلِك، فقَالَت: يا أبا ثور! بيني وبينكَ كبشانِ!

وقَالَ المدائني[2]: تزوج عبدُ الملك بن مروان أُمَّ البهاء بنت عَبد الله بن

---

(1) «الأذكياء» لابن الجوزي (ص 138).

(2) «التذكرة الحمدونية» (2/ 95).

جعفر، فقالَت له: يومًا لو اسْتَكْتَ.

قَالَ: أَمَّا مِنكِ فَأسْتَاكُ، فَطَلَّقَهَا.

فتزوجتْ عليَّ بن عَبد الله بن عباس، وكان أقرع، فكَانَت القَلَنْسُوَةُ لا تفارقه، فوجَّه عبدُ الملك جاريةً، وقَالَ لها: اكشفي رَأْسَهُ على غفلة لترى ما به، ففعلتِ الجاريةُ ذَلِك.

فقَالَت: قولي له: هَاشِمِيٌّ أَصْلَعُ أحبُّ إليَّ من أُمَوِيٍّ أَبْخَر، فأبلغتْه.

فقَالَ: ويلي عَلَيها! لو علمتُ لم أُطَلِّقْهَا.

obeikandl.com